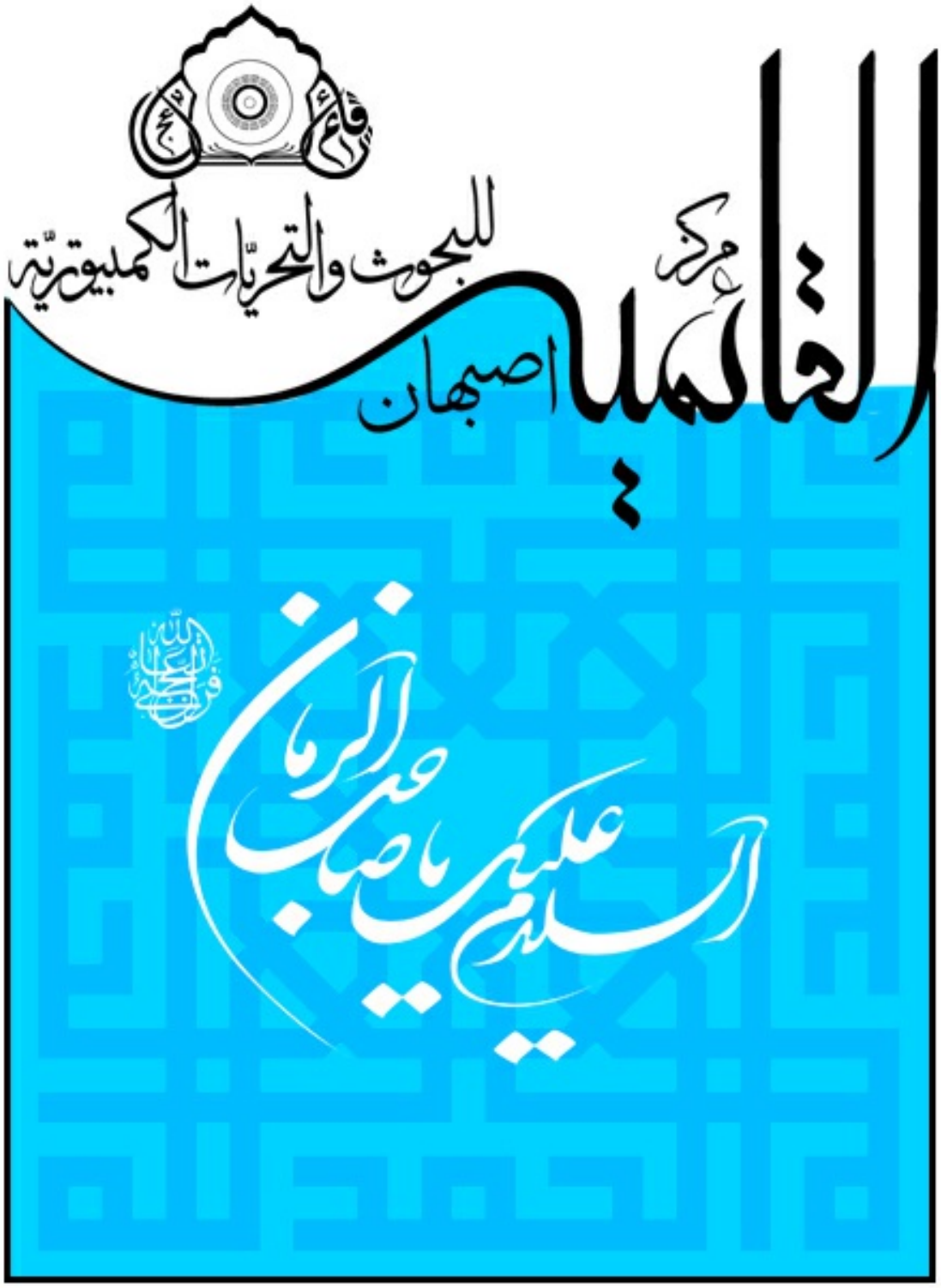

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإمام الحسين بن علي

أنموذج الصبر وشارة الفداء

دراسة مقارنة

الدكتور مهدي حسن التميمي

٨٠

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الحسين بن علي عليها السلام انموذج الصبر وشاره الفداء

كاتب:

مهدى حسين التميمى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الامام الحسين بن على عليها السلام انموذج الصبر وشاره الفداء 6

اشارة 6

اشارة 6

مقدمة اللجنة العلمية 12

مقدمة الكتاب 16

مأثرة الحسين عليه السلام بين الشهداء 20

المضى إلى الشهادة 28

المرأة فى معركة الطف مأثرات النصرة والفداء 40

حضور المشهد الرسالى فى واقعة الطف 54

شواخص الشهادة بين مقامى النبى يحيى والإمام الحسين عليهما السلام 62

اشارة 62

عظة التاريخ، وموعظة الدين 64

النبى أيوب والإمام الحسين عليهما السلام بين الخبر المفجع وواقعة الفجيعة 68

السيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام الرؤوس المنتصبة على سوارى الشهادة وقضية الخلاص 76

مأثرة الحسين عليه السلام فى الشهادة 84

اشارة 84

المواساة والموالاة الخالدة 86

المصادر 94

المحتويات 96

تعريف مركز 112

الامام الحسين بن على عليها السلام انموذج الصبر وشاره الفداء

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ـــ وزارة الثقافة العراقية لسنة 2011: 2190

الرقم الدولى ISBN: 9789933489212

التميمى، مهدى حسين.

الإمام الحسين بن على عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء دراسة ومقارنة / [تأليف] مهدى حسين التميمى. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1433ق. = 2012م.

ص96. – (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 80).

المصادر: ص 89 – 90؛ وكذلک فى الحاشية.

1. الحسين بن على، الإمام الثالث، 4 - 61ق. الشهادة - مطالعات تطبيقية. 2 . الأنبياء - الشهادة - مطالعات تطبيقية. 3 . واقعة كربلاء، 61 ق. 4. واقعة كربلاء، 61ق. - النساء. 5 . زينب بنت على (س) . - خطب. 6. واقعة كربلاء، 61ق. شعر. ألف. العنوان.

5 ح 8 ت / 508 / BP 41

تمت الفهرسة قبل النشر فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة.

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرجيم

الإمام الحسين بن على

عليهما السلام

أنموذج الصبر وشارة الفداء

دِرَاسَةٌ مُقَارِنَةٌ

الدكتور مهدى حسين التميمى

إصدار

وحدة الدراسات التخصيصة فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1433هـ - 2012م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

الموقع الالكتروني: imamhussain-lib.

البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com

".. قال جبريل: قال الله تعالى:

(إنى قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإنى قاتل بدم الحسين ابن على عليهما السلام سبعين ألفاً"

النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

"وإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدى، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدى وأبى، فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علىَّ أصبر حتى يقضى الله بينى وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين".

"الإمام الحسين" عليه السلام.

مقدمة اللجنة العلمية

فى أى الأمور تلـج، ومن أيّها تبـدأ، فلعل ذلک أصـعب ما فى الحسـين بن على عليهما السـلام ذلک الإمام الـذى لـم نقرأ تاريخه إلا لماماً مبعثراً بين هول الفجيعـة وبين نشوة النصـر، فالفجيعـة تأخـذک بأبعادها اللامتناهية كلاتناهى الغلظة والبشاعة التى مثلتها أجلاف من شذاذ الـدين ومقامرى السـياسة، بل كلاتناهى الأخلاق الفاضـلة التى حملها الإمام فى تعاطيه مع الأحـداث كجزء من مقتضـيات الرسالـة ذات الإصلاح الإلهى وهو يحملها فى ذلک اليوم الكربلائى على محياه كما يختزنها فى قلبه الكبير.

وإذا كان للنصـر نشوته فانه يسـتطيل باسـتطالة ذلک الشـموخ الذى أظهرته قامات الأصـحاب ليروا سـيدهم الإمام شامخاً بشموخ المهمة وخلود الـذاكرة التى تسـتجلى حقائق ذلک اليوم العصـيب.. ولعلک تفتتح فى تاريخ الحسـين تاريخ جيل من أنبياء الله المصـلحين الذين قدّموا

رسالتهم الإلهية المصبوغة بدمائهم القانية على أكفهم ليتداولوها من نبى مقتولٍ إلى نبيٍ مشردٍ مقهور، حتى نبى يتجرعُ غصص الابتلاء يرفعه الله إليه مذخوراً ليوم الخلاص.. فالحسين بن على عليهما السلام ذلک الإمام الممتحن المقهور يأبى أن يغادر هذه الأرض حتى يخطّ عليها بدمائه رسالة الأجيال يقرأونها فاجعة الرسالة وشذى الإصلاح الذى استنشقته الإنسانية فغفت عليها آمال المحرومين وعصفت بعروش الظالمين.. هذه هى فاجعة كربلاء لرسالة عنوانها «الحسين بن على عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء» كما أرادها الأستاذ الباحث مهدى حسين التميمى أن يقرأها من زاوية أخرى يستعرض فيها مأثرة الشهداء فى الحسين، ويستوحى فيها مأثرات النصرة والفداء تمثلها المرأة فى معركة الطف، تلک الوقعة بحضورها الرسالى فى مشهدها المتميز، ثم يقرأ فى شواخص الشهادة بين مقامين، مقام يحيى النبى ومقام الحسين عليه السلام الإمام فهو عظة التاريخ كما هو عظة الدين.

ثم ينقلنا إلى واقعة الفجيعة بل إلى خبر مفجع ذلک النبى أيوب مقارناً بالإمام الشهيد.. يصوّر لنا الرؤوس المنتصبة على سوارى الشهادة وقضية الخلاص ليشهد السيد المسيح والإمام الحسين عليه السلام والمهمة المشتركة، بل نهاية فاجعة الإصلاح وأخيراً يروى لنا «مأثرة الحسين عليه السلام فى الشهادة ـــ المواساة والموالاة الخالدة ـــ» ذلک الشهيد الرسالى الخالد.

ويستطلع الكاتب ما يحمله التاريخ من قنوات الفكر التى تسقى إحداها الأخرى لتمده بالحيوية كما مدته بثورة الإصلاح..

فالحسين بن على عليهما السلام ذلک الخالد فى ذاكرة الثوار تستجلى مواقفه مأثرات الفداء فى شخوص ثلاثة من الأنبياء، يحيى وعيسى وأيوب، أولئک الذين مثّلوا الإصلاح كما أنهم قدّموا للصبر صوره القرآنية الناصعة، وما يميز الحسين عليه السلام انه لم يتفرد بالصبر وحده بل كانت أخته زينب ذلک الأنموذج فى الصبر، لأن الحسين عليه السلام مدرسة الصبر، كما هو شارة التضحية والفداء..

عن اللجنة العلمية

السيد محمد على الحلو

النجف الأشرف

مقدمة الكتاب

ليس ثمـة ما هو أعظم وأجل فى الاعتبار المبدئى والروحى من المعاناة والتضـحيات الجسام والمعمدة بالدم للأنبياء وأولياء الشـهادة، وانها الصـفة الغالبة للأنبياء أولى العزم وأوليائهم، انه قد كانت لهم حصة مشتركة ومتفاوتة من نسيج المعاناة الرسالية الطويلة وقد نحتوا من خلال ذلک خلودهم فى الـذكر الرسالى وأشادوا عمائر الإيمان، وقـد حفلت الكتب المقدسـة بـذكر الشواهـد من أوجه المعاناة الرسالية، وذكر القرآن الكريم من ذلـک وافراً من أوجه تلـک المعاناة، وعلى امتـداد رحلـة الإبلاغ الرسالى، وقـد عبر الرسول محمـد (صـلى الله عليه وآله وسـلم)، -وقد لقى نصـيبه الوافر من المعاناة والكيد- عن وجه من تلک المعاناة ما روى عن عبد الله بن مسعود قوله: "كأنى انظر إلى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يحكى نبياً من الأنبياء ضـربه قومه، وهو يمسـح الـدم عن وجهه ويقول: "رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون" ((1)).

1- () مختصر صحيح مسلم، ص74.

وقـد تجسـدت من خلاـل تلك المعاناة والمكابـدة والبطش، والتى جئنا على ذكر مشاهـد منها فى فصل خاص من كتابنا "موسوعـة مقارنة الأديان السـماوية" - ثمار المجهود الرسالى للأديان، وتأكدت شواهد الإثبات التاريخى لخلود الذكر الرسالى خلال ذلك، ذكراً وشخوصـاً للمبادئ والقيم الاعتبارية التى انتظمتها رسالات الأديان، وذكراً لشخوصها المؤثرة فى مجرى الأحداث، وقد كان نصيب الأنبياء أولى العزم وأوليائهم من ذلك هو الأخص؛ إذ إنهم اسـتطاعوا ان يتركوا بصـماتهم واضـحة على مجرى الأحـداث، شواهد فى الزمن السابق واللاحق، وفيما ان المجـد الرسالى للأديان قـد توافرت عليه التضـحيات الجسام للأنبياء ذوى العزم وأوليائهم الـذين نالوا قـدرهم الأوفى من التنكيل والبطش، حصـصا متكاملـة ومتواترة من نسـيج المعاناة الرسالية، هى الجزء من ذلك المسـلسل الطويل من مشاهد العداء السافر لهم من الخلائق الشريرة فى الكون للأنبياء ما جاء على ذكره القرآن الكريم:

(وَكَذَلِکَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)((1)).

وقـد نال أولياء الأنبياء وصـحابتهم من بعـدهم حصـة مضاعفة من ذلك الكيد والبطش ما جئنا على ذكر شواهد منه فى مبحثنا "رموز الفداء والتضحية فى الأديان"، ومن ذلك ما واجه أهل بيت النبوة من صنوف

1- () الأنعام : 112.

الكيد والتنكيل كان أبشعها وأفظعها ما جرى للإمام الحسين (عليه السلام) وخاصّة أهل بيته وصحابته فى واقعة الطف، والتى ظلت آثارها ومآثر ذكراها شاخصة على مر الدهور، فى الفظاعة من مشهد القتل هى صنو مأساة النبى يحيى بن زكريا عليهما السلام وقد ظلت شواهدها وعلائم ذكراها قائمة على ذات الأرض التى حملت رأسيهما الشريفين درراً على أطباق الشهادة، فيما جاوز المشهد الحسينى فى الشهادة وما بعدها كل المشاهد الأخرى فى الفظاعة، انه قد امتد إلى التنكيل والفتك بالبقية من آل بيت النبوة إمعانا وإسرافا فى الجريمة المنظمة لمحو الذكر الرسالى، واجتثاث أصوله ومنابع شخوصه فى الأرض، وقد أبى الله إلا أن يخلد هذا الذكر مع خلود ذكر الله وعلائمه فى الوجود.

ومن المشاهد الفريدة فى واقعة الطف ما كان من تضحيات المرأة فى اقتحامها لساحة المعركة واستشهادها، وقبل ذلک وبعده تجاوز الحالة الطبيعية للمرأة فى تقبلها لمصرع أبنائها وأزواجها وإخوانها بالرضا والاطمئنان ما كانت له مشاهد أثيرة وجليلة القدر جئنا على ذكر الشواهد منها، وقد تهيأ للسيدة زينب (عليها السلام) التى واكبت ملحمة الفداء فى الطف وشهدت مصارع الرجال والنساء ومحنتهم فيها ما تعالت فيه بمواقف من العزم والصبر والتحدى للمحن المفجعة فيها وفى مواقف جئنا على ذكر بعض شواهدها ما يرسم صورة إشراقية لدور المرأة فى التاريخ الرسالى.

وفی هذا المبحث الخاص عن مأثرة الشـهادة للإمام الحسـین (علیه السلام) نقدم خلاصة للموقف المبدئی، الرسالی للإمام الحسین (علیه السـلام) فی مقاومة الانحراف عن منهج الشـریعة واستشـهاده بتلک الطریقة المفجعة مع خاصة أهله وصـحابته الأکرمین، وقد ذکرنا بإزائها شواهـد من التضـحیات فی التاریـخ الرسالی مما کان للنبیین الشـهیدین عیسـی بن مریم و یحیی بن زکریا مع بیان أوجه التفاوت فی طبیعة وظروف الشـهادة فیمـا بینهم، وذکر مأثرة الصبر وفجیعته بالنسـبة للنبی أیوب (علیه السـلام) مقابل ما تمیزت به مأثرة الصبر والفـداء للإمام الحسـین (علیه السـلام)، شواهد ماثلة بتاریخ الفداء والتضحیة الرسالیة التی شکلت الامتداد لروح المعاناة والشهادة الرسالیة ما قد بلغت به الرسالـة الإلهیـة هـذا الشوط الذی بلغته عمارة فی النفوس، وعمارة فی الأرض تشـهد لها هذه المقامات الشامخة والخالدة خلود ذکر الله، وفیما ارتقی الـذکر الحسـینی من ذلک وبکل معالم الفـداء الرسالی ذکراً متجدداً فی النفوس علی مدی الآجال، عنوانا ورمزا لخلود المجد الرسالی فی الشهادة وحضوره الدائم والمتجدد فی الحیاة.

ا.م.د. مهدی التمیمی

بغداد 2011م

مأثرة الحسين عليه السلام بين الشهداء

تعـد حادثـة استشـهاد الإمام الحسـين عليه السـلام حالة نادرة ومميزة فى ظروفها، وتوقيتها، ونتائجها، وقد عد الفيلسوف الألمانى "ماريين" مسـيره إلى الكوفة بنسائه وأطفاله سـيراً إلى الموت، وأنه لم يذكر التاريخ رجلاً ألقى بنفسه وأحب الناس إليه فى مهاوى الهلاک إلا الحسين، ذلک الرجل الكبير الذى عرف كيف يزلزل ملک الأمويين الواسع ويقلقل أركان سلطانهم، وكان نقش خاتمه "الله بالغ أمره"((1)).

وقد ذكرت الموسوعة العربية العالمية فى مناقب الإمام الحسين: أنه كان فاضلاً، كثير الصوم والصلاة، والحج، والصدقة، وأفعال الخير، وقيل حـج خمساً وعشـرين حجـة وهو يمشـى على رجليه، وحدث عن جده وأبويه،...، وطائفة، وحدث عنه ولده على وفاطمة، وخلق كثير، وقد أوتى ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان وغنة صوت وجمال إيماء، وأخذ نفسه بسمت الوقار فى رعاية أسرته ورعاية الناس عامة فهابه الناس، وعرف معاوية عنه هذه المهابة فوصفه لرجل من قريش

1- () الاعلام، للزركلى، ج2، ص343.

ذاهب إلى المدينة فقال: "إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرايت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبى عبد الله مؤتزاً إلى أنصاف ساقيه"، وقد تداول الناس الروايات الكثيرة عن علمه الغزير وفصاحته الموهوبة وشجاعته المتوارثة، ووفائه وفروسيته، وقد سنّ الحسين عليه السلام لمن بعده سُنّة من الآداب تليق بالبيت الذى نشأ فيه، ووكل إليه أن يرعى له حقه ويوجب على الناس مهابته وتوقيره، فهو على فضله وذكائه وشجاعته كان يستمع إلى الرأى الحسن ولا يسوؤه بالمراجعة أو المخالفة، ووردت روايات كثيرة تذكر فضله ومحبة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم له، منها ما روى حذيفة: أن ملكا هبط إلى النبى (لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويبشره بأن الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء الجنة - رواه أحمد والترمذى -((1))، ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد نص على تنزيه الله للبيت النبوى الذى ضم الإمام الحسين عليه السلام وطهارته من الرجس:

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" (الأحزاب: 33).

وقد احتج العلامة ابن خلدون بالآية مارة الذكر فى رد الطعن فى

1- () الموسوعة العربية العالمية، مج 8، ص344- 345.

نسب إدريس بن إدريس بن عبـد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب بالقول: إن تنزيه أهل البيت من مثل هذا من عقائد أهل الأيمان، فالله سبحـانه قـد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً... ففراش إدريس طاهر ومنزه من الرجس بحكم القرآن، ومن اعتقـد خلاف هـذا فقـد باء بإثمه وولج الكفر من بابه..، وانه إذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنک بهم علماً وديناً وآثاراً من النبوة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة"((1)).

والمأثرة الكبرى للإمام الحسـين عليه السـلام فى الشـهادة أنه عاش مع أجواء الشهادة، ومات فيها، وقضى أخلاقه من بعده فى الشهادة، فقد كتبت الشهادة لوالده الخليفة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بضربة غادرة فى مسجد الكوفة عند صلاة الفجر، وقد أمضى زمناً قاسـياً وهو يواجه الخوارج والمرتـدين على سـلطة الخلافـة الراشدية، واستشـهد عمه جعفر بن أبى طالب، المعروف ب_(جعفر الطيار) فى معركة مؤتة، أولى معارک الفتح الإسـلامى خارج الجزيرة العربية على عهد النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واستشهد أخوه الحسن عليه السـلام بدس السم له بعد تبديد جيشه المقاوم للسـلطة الأموية، بالمناورات والمساومات، واستشـهد ولدا الإمام الحسين عليه السلام على، وعبد الله (عليهما السلام) بين يديه،

1- () المقدمة لابن خلدون، ص345.

واستشـهد معه من بنى عمومته وأهله وجميع أصـحابه الـذين زاد عددهم على السـبعين فى معركة واحدة وأمام أنظاره فى واقعة غير متكافئة ومروعة بالطف فى كربلاء.

وكـان الإمـام الحسـين عليه السـلام الشاهـد على مـأثرة فريـدة من مآثر الخلق الرسالى ما اتصف بها الأنبياء والأولياء فى الغايـة من الحلم والسـماحة فى مواجهـة الكيـد والعدوان عليهم، هى فى ذات المشـهد الرائع من الحلم واحتمال أذى الغير مما سـبق ذكره عن نهى السـيد المسيح لأحد تلاميذه عن التعرض بالقوة لمن تجرأ عليه، وإن فى المشهد التالى لما جرى بين والد الإمام الحسين عليه السلام (على بن أبى طـالـب) (عليهما السـلام) وقاتله ما فيه دالـة الحلم المتناهى، فإنه لما ضـرب ابن ملجم الخارجى الإمام عليّاً عليه السـلام تلك الضـربات القاتلة بسـيف مسـموم عند صلاة الصبح فى مسجد الكوفة وجىء به مكتوفاً وقد أقبل به الإمام الحسن بن على على أبيه عليهما السلام، وقال له: "هـذا هو عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضـر بين يديک"، فتح الإمام على عليه السـلام عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلق فى عنقه فقال له بضعف وانكسار صوت ورأفة ورحمة:

"يا هـذا لقـد جئت عظيماً..، وخطباً جسـيماً، أبئس الإمام كنت لک حتى جازيتنى بهذا الجزاء؟ ألم أكن شـفيقا عليک وآثرتک على غيرک وأحسنت إليک وزدت فى عطائک؟ ألم أكن يقال لى فيک كذا وكذا

فخليت لک السبيل ومنحتک من عطائی؟ وقد كنت أعلم أنک قاتلی لا محال، ولكن رجوت بذلک الاستظهار من الله تعالى عليک يالكع فغلبت عليک الشقاوة فقتلتنی يا شقی الأشقياء"، فدمعت عينا ابن ملجم وقال: "يا أمير المؤمنين: "أفأنت تنقذ من فی النار"، قال له: صدقت، ثم التفت إلى ولده الحسن وقال له: "أرفق يا ولدی بأسيرک، وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا فی أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً وفزعاً؟، فقال له الحسن: "يا أباه قد قتلک هذا اللعين.. وأفجعنا فيک وأنت تأمرنا بالرفق به؟، فقال: "نعم يا بنی نحن أهل البيت لا نزداد على الذنب إلينا إلا كرما وعفواً، بحقی عليک، فأطعمه يا بنی مما تأكله، واسقه مما تشرب، ولا تقيد له قدما ولا تغل له يدا، فإنْ أنا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة، ولا تحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإنی سمعت جدک رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور"، وإن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو وأنا أعلم بما أفعل به"((1)).

وتلک أمثلة من الصفح والسماحة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، هی أخلاق النبوة وأولياء النبوة، شهادتهم شهادة للتاريخ أن قيم السماحة فی الرسالات الدينية واحدة تجد شخوصها فی هذا المشهد أو ذاک من مشاهد السيرة الرسالية، نهجاً واحداً متصلاً بقيم الأخلاق فی الأديان.

1- () الإمام على من المهد إلى اللحد، ص344-345.

وعلى ذلک فإن الإمام الحسين ـــ عليه السلام ـــ فى مأثرته الاستشهادية، وعلى تلک الصورة التى جرت عليها الأحداث فى واقعة الطف، قد جسد بالحق قول الكاهن يارا فيه أنه "ضـمير الأديان كلها والى الأبد"، وهو الضـمير الذى يقوم على الخير ونصرة الحق والجهاد فى سبيل ذلک، جهاداً أرقاه وأسماه الجهاد بالنفس.

المضى إلى الشهادة

ولقصد مبدئى سجل الإمام الحسين عليه السلام موقفه التاريخى المشهود حين خرج من موطنه ومستقره فى المدينة المنورة سنة ستين للهجرة، فإنه لما أرسل يزيد بن معاوية عامله عليها ليأخذ البيعة منه، أعلن الرفض لبيعة من اشتهر بفسقه وفجوره ما يفوق ما ذكر عن هيرودس حاكم فلسطين أيام النبيين الكريمين السيد المسيح، ويحيى بن زكريا (عليهما السلام)، ما أنكره عليه خاصة الصحابة والأتقياء، ويروى لنا أحمد بن حجر الهيثمى فى الصواعق المحرقة من ذلك: أن أبا هريرة لما علم بولاية يزيد استعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله لسبق إعلام النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن أهل المدينة قد خلعوه لإسرافه فى المعاصى، وروى ابن الجوزى عن القاضى أبى يعلى الفراء فى كتابه "المعتمد فى الأصول" بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبى: إن قوما ينسبوننا إلى تولى يزيد، قال: "يا بنى وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله، قلت: وأين لعن الله يزيد فى كتابه فقال فى قوله تعالى:

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِکَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ))

.

وقد أخرج الواقدى: أن عبد الله بن حنظلة قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن كان رجلاً ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة.

وقال الذهبى: إن يزيد فعل بأهل المدينة ما فعل مع إتيانه المنكرات، وقد اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد، وفى وقعة الحرة التى شنها على أهل المدينة سنة ثلاث وستين وقع فيها القتل والفساد العظيم والسبى واستباحة المدينة، فإنه قد قضى نحو ثلاثمائة بكر، وقتل من الصحابة نحو ذلک وممن قرأ القرآن نحو سبعمائة، وأبيحت المدينة أياما وبطلت الجماعة من المسجد النبوى واختفت أهل المدينة أياما فلم يمكن أحداً دخول مسجدها حتى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره.. تصديقاً لما أخبر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يرض أمير ذلک الجيش إلا أن يبايعوه ليزيد، على أنّه خِوَلٌ له إن شاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله ورسوله فضرب عنقه، ثم سار جيشه إلى قتال ابن الزبير فرموا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها بالنار".

وفى ذلک الوقت وقبل أن تستباح المدينة المنورة وعلى ذلک النحو الهمجى غادرها الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، فسمع أهل الكوفة

بـذلک فأرسـلوا إليه أن يـأتيهم ليبـايعوه وليمحو عنهم ما هم فيه من الجور، ومن الغريب الملفت للنظر أن الإمام الحسـين عليه السـلام قد خالف فی خروجه من المدينـة إلى مكـة ثم إلى الكوفـة نصائـح العديـد من خاصة الصـحابة ومن أهل بيته لغاية ارتبطت بموقف امتثل فيه لـذلک القصـد الرسالی الكبير كمثل ما امتثل الأنبياء والأولياء لأقـدارهم فی اختيار المركب الصـعب وصولاً إلى الغايـة الرساليـة، فإن ابن عباس قـد نهى الإمام الحسـين عليه السـلام عن الـذهاب إلى الكوفـة وبيّن له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فأبى، وطلب منه أن لا يذهب مع أهله فأبى فبكى ابن عباس، وقال: "يا حبيباه".

وقال ابن عمر نحو ذلک فأبى فبكى ابن عمر، وقبّل ما بين عينيه، وقال: "اسـتودعک الله من قتيل!"، ونهاه ابن الزبير أيضاً، فقال له: حدثنی أبی أن لمكـة كبشاً يسـتحل حرمها، فما أحب أن أكون أنا الكبش"، ولما بلغ مسـيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضأ فيه فبكى حتى سقط فيه من دموعه، ولـم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره.

وهكذا مضـى الإمام الحسـين عليه السلام إلى غايته؛ ليسجل حضوره فی ساحة المواجهة مع قوى الشرک مع سابق علمه بمصيره كمثل ما كان من أمر السيد المسيح عليه السلام قبل ذلک، فإنه قد مضى إلى

أجله المحتوم، وقد بدأ يصرح لتلاميذه بأنه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم (القدس)، وليتألم كثيراً على أيدى شيوخ المدينة ورؤساء الكهنة ومعلمى الشريعة، ويموت قتلاً، ولم يثنه عن عزمه ما كان من عتاب بطرس أخص تلاميذه وقوله: "لا سمح الله يا سيد ان تلقى هذا المصير"، فيلتفت ويقول لبطرس: "ابتعد عنى يا شيطان!، أنت عقبة فى طريقى لابد أفكارك هذه أفكار البشر لا أفكار الله.. من أراد أن يتبعنى، فلينكر نفسه ويحمل صليبه، ويتبعنى، لأن الذى يريد أن يخلص حياته يخسرها، ولكن الذى يخسر حياته فى سبيلى يجدها، وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه، وبماذا يفدى الإنسان نفسه"((1))... والحق أن كلا- من السيد المسيح والنبى يحيى بن زكريا والإمام الحسين (عليهم السلام) قد ربحوا العالم، ذكرا متجدداً خالداً، إذ وهبوا أنفسهم فى سبيل مجدها.

ولم يثن الحسين عليه السلام عن غايته وقبل أن يصل إلى موطن شهادته ما كان قد بلغه عن مقتل رسوله الذى سبقه إلى الكوفة، مسلم ابن عقيل، وقد بايعه من أهلها أكثر من اثنى عشر ألفاً، ثم نكثوا بيعتهم له بعد أن زاول والى المدينة شتى الأساليب القمعية لتشتيت شمل الملتفين حول مسلم، وبالرجال الموالين لآل بيت النبوة فيها، وقد جابه مسلم بن عقيل عليه السلام قدره ببسالة بعد أن تخلى عنه من كان معه وحوصر وظل يقاتل فى الساحة وحده قتال الأبطال حتى استشهد وهو يقاتل

1- ()(متى 16: 21-26).

الجموع لوحده وقد احتشدت له من كل الطرقات، وأرسل عبيد الله بن زياد برأسه الشـريف بعد إلقائه من فوق قصر الامارة ليزيد بن معاوية، وقد توافر للإمام الحسـين عليه السـلام قبل ذلک من يبلغه بما آل إليه وضع الناس فى الكوفة، فإن الفرزدق قد لقى الحسـين عليه السلام فى مسـيره فقال له: "بين لى خبر الناس"، فقال: "أجل على الخبير سـقطت يا ابن رسول الله، قلوب الناس معک وسـيوفهم مع بنى أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء"، وسار الحسين، وهو غير عالم بمقتل مسلم بن عقيل، ولكنه بالتأكيد كان عالماً بالمصير الذى ستؤول إليه رحلته الخطرة، وقد تلقاه على مسافة ثلاثة أميال من القادسـية من ينبئه بمقتل موفده مسلم بن عقيل ونصيحته بأن يرجع، فازداد تصميماً على المضـى حيث قصد وهو يقول: "لا خير فى الحياة بعدكم"، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء ثانى المحرم سنة إحدى وستين للهجرة، ولما شارف الكوفة سـمع به أميرها عبيد الله بن زياد فجهز إليه أكثر من ثلاثين ألف مقاتل فلما وصلوا إليه التمسوا إليه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه، وكان أكثر الخارجين لقتاله ممن كاتبوه وبايعوه!!.

ولنمضِ معا مع مؤلف الصواعق المحرقـة لينقل لنا ذلک المشـهد النادر من الإقـدام والجرأة والثقة العالية بالنفس فى مسـرح المواجهة غير المتكافئة بالمنظور البشرى ما يكون فيه حضور الإيمان أقوى وأمضى فى

القدرة على المواجهة، وما تكون فيه الحجة أبلغ فى توصيل المضمون الرسالى إلى المدى الأرحب فى الزمان والمكان، فإن الإمام الحسين عليه السلام سليل النبوة قد واجه بالعدد القليل ممن معه من أهله وأخوته، وخاصة أصحابه، وهم نيف وثمانون ثبتوا فى ذلک الموقف الصعب للغاية ثباتاً باهراً مع كثرة أعدائهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه، وأنه لولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه فكان كما وصف المحدث: الشجاع القرم الذى لا يذل ولا يزول ولا يتحول، وأنهم لما منعوه وأصحابه من الماء ثلاثاً قال له بعضهم وبكل الحقد والشماتة: انظر إليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، ودعا الحسين عليه السلام بماء ليشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم فأصاب حنكه.. واستمر الحر والعطش بأهله وهم ما زالوا يقتلون واحداً بعد واحد حتى قتل منهم ما يزيد على الخمسين.

وفى تلک الواقعة سجلت لمن كان منها حاضراً فى الموقف فى مبتدأ الشوط وفى أثنائه، ثم من بعده، مآثر ظلت شاخصة شخوص كل ميزة وأثر معتبر فى التاريخ الإنسانى، فإنه حين اقتربت حشود الأعداء من موطن الحريم صاح الإمام الحسين: "ألا من ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم"، حينئذ خرج "الحر بن يزيد بن حرث الرياحى" من معسكر أعدائه راكباً فرسه وقال: يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليک فإنى الآن من حزبک، لعلى أنال بذلک

شفاعـة جدک"، ثم قاتل بين يدى الإمام الحسـين عليه السـلام حتى قتل، وسـجل الحر الرياحى بذلک الموقف مأثرة الشـهادة ومعها مأثرة الخلود فى الذكر والذكرى، فقد خلد ذكره مع شـهداء معركة الطف، وأقيم له مرقد ومزار مهيب يؤمه زوار المشهد الحسينى على مدار الأيام والسنين.

ولم يمكّن الإمام الحسـين عليه السـلام أعداءه من نفسه أن يستسلم أو يساوم فإنه لما فنى أصحابه وبقى بمفرده حمل على أعدائه فقتل كثيراً من شـجعانهم، وحمل عليه كثيرون حالوا بينه وبين حريمه، فابتـدر بنخوة المقاتل الشـهم الغيور يصـيح بهم: "كفوا سـفهاءكم عن الأطفال والنساء" فكفوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح حتى سقط على الأرض شهيداً.

ثم إنّه بقـدر مـا يعرف الأشـقياء المـارقون قـدر الأتقياء الأبرار فإنهم لا يتوانون عن ارتكاب الجريمـة بحقهم لغايات شـريرة ومطامع دنيوية رخيصـة، وكمثل ما كان من شأن هيرودس فى حفل الرذيلـة حين جىء له برأس القـديس النبى يحيى بن زكريا ثمناً لغنيمة دنيوية زائلة، فإنه لما وضع رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يدى عبيد الله بن زياد أنشد قاتله متشفياً وطامعاً فى استجداء الغنيمة:

إملأ ركابى فضة وذهبا

فقد قتلت الملک المحجبا

ومن يصلى القبلتين فى الصبا

وخيرهم إذ يذكرون النسبا

قتلت خير الناس أما وأباً

وقـد أغضب ذلـک الموقف الـدنیء المتشـمت ابن زیـاد وقال: إذا علمت ذلک فلم قتلته؟، والله لا نلت منی خیراً ولألحقنک به ثم ضـرب عنقه((1))، فکان هذا مثل جزاء قاتل أولاد مسـلم بن عقیل - مبعوث الحسین علیه السلام لأهل الکوفة - فإنهم قد رجوا قاتلهم وقد ظفر بهم فی أحـدی الأرجاء علی بعـد من کربلاء أن یـذهب بهم إلی عبید الله بن زیاد فأبی إلا أن یقتلهم ویحز رؤوسـهم ویذهب بها إلیه طمعاً فی نوال غنیمة الجریمة، فکان جزاؤه الحرمان منها والتوبیخ.

*****

والمتابع لسـیر الأحـداث التی أعقبت ثورة الإمام الحسـین علیه السـلام یقف عنـد الحقیقة المشـهودة فی أن تلک الثورة قد أنتجت ثورات متتابعة منها "ثورة التوابین" التی تزعمها سـلیمان بن صرد الخزاعی، وقد قتل سلیمان سنة 65هـ فی معرکة عین الورد التی دارت مع الجیش الـذی أرسـله مروان بن الحکم، وحمل من بعـده رایـة الثورة المختار بن عبیـد الله الثقفی الـذی تتبع قتلة الحسـین علیه السـلام حتی قتل معظمهم وفر البقیة، وبلغ الثأر ذروته بمقتل عبید الله بن زیاد علی ید إبراهیم بن الأشتر فی معرکة الخازر علی نهر الزاب سنة 67هـ.

ومن غرائب الاتفاق ما یحمل معه الدلالة الاعتباریة فی مشهد

1- () الصواعق المحرقة، ص197-198.

النقمة على القتلة ما ذكر من قول عبد الملک بن عمير: "دخلت قصر الإمارة بالكوفة على ابن زياد والناس عنده سماطان ورأس الحسين عليه السلام على ترس عن يمينه، ثم دخلت على المختار فيه فوجدت رأس ابن زياد وعنده الناس، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فوجدت رأس المختار عنده، ودخلت على عبد الملک بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلک، فأخبرته بذلک فقال: لا أراک الله الخامسة ثم أمر بهدمه"، والمثير للانتباه اليوم أن قصر الأمارة والكائن خلف مسجد الكوفة قد ظل أثراً مهجوراً، فيما يقوم إلى جنبه مقام ومزار مهيب لمسلم بن عقيل عليه السلام ابن عم الإمام الحسين عليه السلام، سفيره المقتول فى الكوفة، يقابله مقام ومزار معتبر لهانى بن عروة زعيم قبيلة مراد الذى آوى مبعوث الإمام الحسين عليه السلام فاقتص حاكم الكوفة منه.. وفى ذلک كله دلالة من دلائل الاعتبار لخلود مشاهد الشهادة فى التاريخ الرسالى.

المرأة فی معرکة الطف مأثرات النصرة والفداء

وسـجلت المرأة فى معركة الطف أدواراً متميزة فى مشـهد النصرة والفداء كانت من أنصع الصفحات وأكثرها إشراقاً فى التاريخ الرسالى، وقد جاوزت المرأة فى ذلک طبيعتها المعتادة فى الحرص على سلامة أبنائها وأزواجها وتمنى دفع الغوائل عنهم إلى الحالة الأسمى فى التضحية بدفع الأبناء والأزواج معاً إلى سوح الوغى وحثهم على الصمود والبسالة فيها، وتقبل استشهادهم فيها بالرضا والاطمئنان!

وفى حالة من تلک الحالات النادرة فى مشهد التضحية ما كان من أم عمرو بن جنادة الأنصارى فإنه لما قتل أبوه فى المعركة دفعته أمه ليقاتل دون الحسين عليه السلام وكان شاباً، وقد أشفق عليه الحسين عليه السلام وقال: "هذا شاب قتل أبوه، ولعل أمه تكره خروجه"، فقال: "إن أمى هى التى أمرتنى"، ثم برز وهو يرتجز:

أميرى حسين ونعم الأمير على وفاطمة والداه

سرور فؤاد البشير النذير فهل تعلمون له من نظير

ثم قاتل حتى قتل، فرموا برأسه إلى معسكر الحسين عليه السلام فأخذته أمه ومسحت عنه الدم والتراب وأخذت عموداً وهجمت به على الأعداء، فردها الحسين عليه السلام إلى الخيام((1)).

وكانت أم وهب – وهو نصرانى التحق بالإمام الحسين عليه السلام وهو فى الطريق – قد حثته أمهُ على القتال قائلة له: "قم يا بنى فانصر ابن بنت رسول الله"، فاستأذن الحسين عليه السلام وانحدر إلى المعركة فقاتل حتى قتل جماعة ورجع إلى أمه، وقال: "أرضيتِ يا أماه"! فقالت: "لا أرضى حتى تقتل بين يدى أبى عبد الله" فخرج من فوره وقتل تسعة عشر فارساً واثنى عشر راجلاً، وقطعوا يمينه فصار يقاتل بشماله فقطعوا شماله، فأخذت زوجته عموداً من حديد وانحدرت إلى المعركة تقاتل معه، ولما لم يكن له بد من إرجاعها فانه عض بأسنانه على ثيابها ليرجعها إلى الخيمة فأفلتت نفسها منه وعادت إلى الحرب، فاستغاث بالحسين عليه السلام، فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعى إلى النساء بارک الله فيک فانه ليس عليكن قتال"، ولم يزل بها حتى أرجعها، فوقفت تنظر ما يكون من زوجها حتى قتل، فجاءت وجعلت تخضب شعرها بدمه، وتمسح جبينها بنحره، فأمر الشمر غلاماً يقال له رستم فضربها بعمود من الحديد فصرعت إلى جنب زوجها، وحمل جسد وهب إلى ابن سعد (قائد حملة الأعداء) فجعل ينظر إليه ويقول: "ما أشد

1- () قوافل النور، ص242.

صولتک" وأمر بقطع رأسه ورمی به إلی معسکر الحسین علیه السلام فأخذته أمه وجعلت تمسح الدم والتراب عنه وتقول: "الحمد لله الذی بیّض وجهی بشهادتک بین یدی أبی عبد الله"، ثم قالت: "الحکم لله یا أمة السوء، إن النصاری فی کنائسها، والیهود فی بیّعها لخیر منکم"، ثم رمت برأس ولدها نحو عسکر ابن سعد. ومن عجیب الاتفاق ما ذکر من أن الرأس قد أصاب صدر قاتل وهب وقتله، ثم إن أم وهب أخذت عمود خیمة وتوجهت إلی المعرکة فقتلت نفرین وجاء الحسین علیه السلام فردها إلی الخیمة((1)).

ومن مواقف الشهامة والمبدئیة العالیة للمرأة ما لم یکن لمثله من أولئک الرجال الأوغاد الذین حملتهم مطامعهم وأهوائهم إلی الاستکانة للشر والبغی - ما کان من أمر خولی بن یزید الأصبحی مع زوجته فإنه عهد إلیه برأس الإمام الحسین علیه السلام وقد أتی به إلی منزله ووضعه تحت أجانة، ودخل فراشه ثم قال لامرأته: جئتک بغنی الدهر، هذا رأس الحسین علیه السلام معک فی الدار"!، فغضبت لما أخبرها بذلک وقالت له: "ویحک لقد جاء الناس بالذهب والفضة، وجئتنی برأس ابن بنت رسول الله!، والله لا یجتمع رأسی ورأسک فی بیت أبداً"، وقامت من فراشه وخرجت من الدار، وقالت: "لا زلت أنظر إلی نور یسطع مثل

1- () موسوعة مقتل الإمام الحسین (مقتل الإمام الحسین، محمد الحسین کاشف الغطاء)، ص465، 466.

العمود من الأجانة وإليها، ورأيت طيوراً بيضاء ترفرف حولها"((1)).

وكانت امرأة من آل بكر مع زوجها وقد رأت ان القوم قد احتملوا على نساء الحسين عليه السلام وفسطاطهن وهم يسلبونهن فأخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: "يا آل بكر بن وائل اتسلب بنات رسول الله، لا حكم إلا بالله يا لثارات رسول الله". فردها زوجها إلى رحله.

وعلى خلاف تلك المواقف المبدئية الصادقة والجريئة لأولئک النسوة، ممن كانت لهن أدوار بارزة فى البذل والتضحية فى موقعة الطف كانت المواقف المتخاذلة والمهينة من بعض الرجال اللاهثين وراء مطامع الدنيا الرخيصة، كمثل هؤلاء الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام من الكوفة أن يقدم إليهم معبرين فى رسائلهم عن مبايعته والنصرة له، ثم انحازوا بعد ذلک إلى صف أعدائه منصاعين للإغراء والتهديد معاً، وقد ناداهم الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بأسمائهم: "يا شبث بن ربيعى، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن أشعث، ويا زيد بن الحارث.. ألم تكتبوا إلى أن أقدم قد أينعت الثمار وأخضر الخباب وإنما تقدم على جند لک مجندة!"، فأنكروا ذلک قائلين: "لم نفعل"!.

وكان الخطاب الجليل القدر للسيدة زينب عليها السلام لهؤلاء من أهل الكوفة ولغيرهم ممن خانوا أمانة الولاء والنصرة لآل بيت النبوة وتركوهم طعماً سائغاً للسفاكين، خطاباً تجلت فيه فصاحة الإدلاء عن

1- () سيرة الأئمة الأثنى عشر، ص71.

مشـهد الخيانة والغدر ما حرک فی النفوس اللواعج، وأذکی فی الضمائر حساً دفیناً من الولاء المکبوت، والذی تحرک بعدئذ فی أشکال شتی من التعبیر عن ندامـة فات موعدها لتجد لها صوراً حاضـرة من ذلک فی حالات من الثأر والانتقام من القتلة وأشـیاعهم کان أجلاها وأکثرها وضوحاً ما کان من ثورة المختار الثقفی الـذی اقتص ممن شارکوا فی جریمة الطف، وقد تعقبهم لیثأر منهم، وقد تحققت فی بعض مشاهد الثأر من ذلک نبوءة الإمام الحسـین علیه السـلام ودعاؤه علی البعض من قتلته، وما کان من سوء العاقبـة لهم ما ورد ذکره فی خطبة السـیدة زینب علیها السلام فی الکوفة:

"فلا یستخفنکم المهل، فإنه لا تحفزه البدار، ولا یخاف فوت الثار، وإن ربکم لبالمرصاد"، وبمثل ذلک ما جاء فی خطبة فاطمة بنت الحسین علیه السلام:

"تباً لکم فانظروا اللعنة والعذاب، فکان قد حل بکم وتواترت من السـماء نقمات، فیسـحتکم بعذاب ویذیق بعضکم بأس بعض ثم تخلدون فی العذاب الألیم یوم القیامة بما ظلمتمونا"((1)).

وکان الحضور مجدداً لمشـهد التحدی من فارسة الطف زینب بنت علی علیهما السـلام حین تمادی عبید الله بن زیاد فی تعسّفه لما رجع من معسکره بالنخیلة فدخل قصر الإمارة لیضع رأس الحسین علیه السلام

1- () موسوعة مقتل الإمام الحسین علیه السلام، ص348-351.

الشـريف بين يديه ولينكث بالقضـيب ثناياه ساعة، وقد انحازت السـيدة زينب عليها السلام عن ذلک الموقف وهی متنكرة عن النساء لتوجه خطابها المهين لابن زياد وقد عرفها فقال متشمتاً، وقد أخذته العزة بالإثم: "الحمد لله الذی فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم"!، وزاد ابن زياد من الكيد والشماتة فی قوله للسيدة زينب عليها السلام: "كيف رأيت فعل الله بأهل بيتک؟

فأجابته السيدة زينب عليها السلام جواباً استحضر فيه الشاهد التاريخی مسيرة الإبلاغ الرسالی وعنوانه الأكبر فی الشهادة وحضوره فی الكل الإيمانی الذی لا يتزلزل ولا يتحول:

"ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله لهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينک وبينهم وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ".

وتبلغ الشـجاعة بالسـيدة زينب عليها السـلام فی خطابها للقائل المتغطرس وهو فی نشوة زهوه بالانتقام لتسـمعه كلاماً لا يجرؤ غيرها عليه لتنقص من قدره بنسـبته إلى أمه دون أبيه، وبتقريع المسـتخف بشأنه: "ثكلتک أمک يا ابن مرجانة"، ويغضب ابن زياد من كلام سـيدة الطف فی ذلک المحتشد وقد همّ بالفتک بها، فكان ثمة من يردعه عن ذلک من خاصـته معبراً فی ذلک عن موقف سـلبی كان ولا يزال البعض من الناس

لا يقـدر فيه للمرأة منزلتها، وبأى مسـتوى تكون ما قـد قاله عمرو بن حريص: إنها امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشـىء من منطقها، ولا تلام على خطأ"!!.

وبمثل تلك الشـجاعة التى قابلت بها السـيدة زينب عليها السـلام الطاغية كان التصـريح لعلى بن الحسين عليهما السلام حين نازعت ابن زياد الشماتة بقتل جده الإمام على بن أبى طالب، وأخيه الأكبر على (عليهما السلام) فكان رده مسنداً إلى قرار الله وحكمه:

"اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ".

وقـد كبر على ابن زياد أن يرد عليه بمثل ذلك فأمر بضـرب عنقه، فكانت الوقفـة البطولية والشـجاعة الفريدة للسـيدة زينب عليها السـلام قد أنقذته من القتل أنها قد بادرت إلى اعتناقه، قائلة لابن زياد:

"حسـبك يا ابن زياد من دمائنا ما سـفكت، وهل أبقيت أحـداً غير هـذا؟، فإن أردت قتله فاقتلنى معه" فكف عن ذلك فيما لم يكف على بن الحسـين عليه السـلام عن تحـدٍّ غريب ومثير لابن زياد وقف عنـده ذلك الرجل بكل غطرسـته وصـلفه صاغراً أمام عظم ذلك المشـهد من التحـدى فى موضع لا يصـح فيه مثل ذلك لمن سواه، وفى مثل ذلك الموقف الصـعب الذى عبر فيه الإمام زين العابدين عليه السـلام عن المنطوق الرسالى فى الشهادة كونها حكم الله وقضاءه فى تكريم أهل النبوة وحملة الرسالة:

"أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا فى الله الشـهادة"... وكمثل ما هى الحكمة فى الإبقاء على حياة على بن الحسـين عليهما السـلام كان فى الحكمـة أن يخلى ابن زياد سبيل المختار بن أبى عبيد الثقفى وقد كان محبوساً عنده من يوم قتل مسـلم بن عقيل عليه السـلام وقد جرى بينه وبين ابن زياد كلام أغضـبه فأرجعه إلى الحبس ليكون فى إرجاء قتله ما قـد تحقق به الانتقام من قتلـة الإمام الحسـين عليه السـلام، بعد ذلک، وقد صدقت نبوءة عبد الله بن الحارث فيه وكان معه فى السجن فى قوله له: "والله لا يقتلک ولا يقتلنى ولا يأتى عليک إلا القليل حتى تلى البصـرة"، وكان الشـهيد ميثم التمار يسـمع كلامهما فقال للمختار: "وأنت تخرج ثائراً كما قالا"، وصح أن عبد الله بن الحارث قد خرج بالبصـرة بعد هلاک يزيد وأمره أهل البصـرة وبقى على هذه سـنة، وخرج المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام فقتل ابن زياد، وحرملة بن كاهل، وشـمر بن أبى الجوشن، إلى العـدد الكثير من أهل الكوفة الخارجين على الحسـين عليه السـلام ((1))..، وهى هـذه كمثل نبوءات الأحـداث فى التاريـخ الرسالى، كان من بينها ما قـد حصل من نبوءات النبى أشـعيا وغيره مما ذكر فى الكتاب المقدس مما أوردنا ذكره فى مبحثنا عن رموز التضحية والفداء فى الأديان.

1- () موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، ص367-368 نقلاً عن تاريخ الطبرى، ج7، ص147.

ويكون الموقف الأكثر جرأة وإقداماً للمرأة فى غمار الفاجعة ما قد حصل فى حضور الرأس الشريف للأمام الحسين عليه السلام عند يزيد ابن معاوية وقد وضعه أمامه فى طست من ذهب وكانت السبايا من النساء خلفه، وقد أذن للنساء أن يدخلوا فى وقت أخذ فيه القضيب لينكث به ثغر الحسين عليه السلام ويقول متشفياً بنعرة من نعرات الجاهلية وقد سمعته السيدة زينب وهو يتمثل فى ذلک بقول ابن الزبعرى:

ليت اشياخى ببدر شهدوا لأهلوا واستهلوا طربا قد قتلنا القوم من ساداتهم لعبت هاشم بالملک فلا لست من خندف إن لم انتقم

جزع الخزرج من وقع الأسل ثم قالوا يا يزيد لا تشل وعدلناه ببدر فاعتدل خبر جاء ولا وحى نزل من بنى أحمد ما كان فعل

فانتفضت السيدة زينب عليها السلام فى مجلسه مشيرة إلى وجه المأساة الدامية وفظائع الفتک التى جرت عليهم فى الطف مخاطبة يزيد بذات اللهجة المتحدية ما كانت قد خاطبت بها واليه عبيد الله بن زياد، وبالنبرة القوية المفعمة بروح التحدى لكبريائه وغطرسته، وبالعبارة المهينة "يا ابن الطلقاء"، وهى كناية عمن دخل فى الإسلام كرها، مزدرية فيه هتافه بأشياخه فى الجاهلية، داعية عليه بالويل والثبور:

"اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبک بمن سفک دماءنا، وقتل حماتنا".

ثم خاطبته بما لم يجرؤ أحد غيرها عليه، وبتلك اللهجة المتحدية لكيده، والمقللة من شأنه مذكرة إياه بما يكون من مصير الطغاة:

"فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادى المنادى ألا لعنة الله على الظالمين".

وتبلغ السيدة زينب فى شجاعتها إلى الغاية فى استصغار شأن يزيد والاستهانة بتقريعه وتوبيخه، ومن ثم إنذاره بسخط الله ورسوله وملائكته عليه، جراء ما اجترح من الجناية بحقهم ما لم يبلغنا عن امرأة أنها قد نطقت أمام حاكم جائر مستبد بمثل ما قد نطقت به تلك المرأة المفجوعة بأهلها وذويها وبعبارات ملؤها التحدى وكبرياء الموقف، وفى تحذير صريح بالمصير المحتوم للظالمين:

"ولئن جرت علىَّ الدواهى مخاطبتك، إنى لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى".

"ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنّ وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعول".

وقد أحدثت خطبة السيدة زينب عليها السلام تلك دوياً واسع

المـدى فى أرجاء دمشق، تلافاها الحاكم الأموى بمحاولـة إلقاء تبعة الجريمة التى ارتكبت فى الطف على عاتق واليه ابن زياد، وعمل على إخراج الإمام السـجاد عليه السـلام والعيال عن الشام إلى موطنهم وتمكينهم مما يريدون، وقد أمر النعمان بن بشير وجماعة معه بأن يسيروا معهم إلى موطنهم فى المدينة، وقد بادر زين العابدين عليه السـلام لما عرف الموافقة من يزيد إلى طلب رؤوس الشـهداء كلها ليمضـى بها إلى كربلاء ليلحقها بالأبـدان وقد اسـتقبلت موكب الشـهادة فى كربلاء جماعة من بنى هاشم ورجال من آل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وقد أقاموا النواح على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام.

وهكذا كانت المرأة فى الطفّ، المقاتلة الشـهيدة، والمضـحية بأولادها وزواجها، والصامدة، الصابرة حيال فجائعها، مثالاً حياً وشاخصاً فى التضحية والفداء ما تستحق به خلود مآثرها فى تلك الصفحات المجيدة من سفر الطف الخالد، ما يلزم أن تقام له النصب، وعلائم الاحتفاء بـذكريات ومشاهد تضـحياتها كمثل ما هو الاحتفاء الدائم والمتجدد لمواقف الرجال الأفذاذ فيها، انها درر الشـهادة ولآلئ المجد الرسالى الذى حققته بالعزم والعزيمة والتضحيات الجسام وعلى القدر المتكافئ أو المتفاوت فى التضحية والبذل وعلى السبيل الواحد رجال الطف ونساؤها.

حضور المشهد الرسالی فی واقعة الطف

والملاحظ فى مجرى التاريـخ الرسالى أن شواخص الأنباء الرسالى، كمثل ما هو التوافق فى الأحـداث الرسالية يشـكل علامة من علامات الوثوق والمصداقيـة لإنباءات الرسالات الدينيـة، وقـد كانت النبوءات الصادقـة عن سـير الأحداث فى التاريخ الرسالى قد عبرت وفى حقب متفاوتة من ذلک عن تلک الحقيقة كمثل ما كان من نبوءات أشعيا وأرميا – من أنبياء بنى إسرائيل – فيما ان يوحنا (النبى يحيى بن زكريا) هو الذى عناه النبى أشعيا من قبل فى نبوءته عنه كمثل نبوءته عن السيد المسيح:

"هيئوا طريق الرب.. واجعلوا سبله مستقيمة" (متى 3: 1–3).

وقد كان أرميا قد تنبأ بسـقوط أورشـليم وتدمير هيكل سـليمان وقد أرعب ذلک قومه فأخذ إلى مصر ورجم هناک بالحجارة لتنبؤاته الكئيبة، وأن أرميا كما ذكر فى كتاب (أهل البيت فى الكتاب المقدس) قد ورد عنه

أخباره عن ملحمة الطف، مما نقل من الأصل العبرى من العهد القديم وفيها تعظيم لفداحة ما يحدث فى شمالى نهر الفرات (تسافونا على يد نهر فرات)، والتأكيد على أن الخراب والسيوف ستشع وترتوى من الدماء التى ستسيل فى ساحة المعركة، كذلك أخبار "يوحنا" عن مذبحة كربلاء مما ورد من التحليل اللغوى للنص العبرى الخاص بذلك والمستقى من المعجم الحديث (عبرى - عربى) للدكتور ربحى كمال. وفيه ما يذكر عن أنباء السيد المسيح عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام _ وهى شهادة صادقة صدق ما أنبأ عن حوادث الزمان التى تحققت بعده: أن عيسى بن مريم مر بأرض كربلاء فراى ظباءً ترعى هناك فكلمته بأنها ترعى هنا شوقا إلى تربة الفرخ المبارک فرخ الرسول أحمد وانها آمنة فى هذه الأرض، ثم اخذ المسيح من أبعارها وشمه وقال: اللهم أبقه حتى يشمها أبوه فتكون له عزاءً وسلوة، فبقيت الابعار إلى مجىء الإمام على بكربلاء وقد اصفرت لطول المدة فأخذها وشمها ثم دفعها إلى ابن عباس وقال: احتفظ بها فإذا رأيتها تفور دما فاعلم ان الحسين عليه السلام قد قتل، وفى يوم عاشوراء بعد الظهر رآها تفور دما.((1))

وقد أخبر النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن مأساة حفيده الإمام الحسين عليه السلام منوها فى ذلک بمأساة النبى يحيى بن زكريا عليه السلام وصلتها مع مأساة الإمام الحسين عليه السلام ومكانتها عند الله

1- () أهل البيت فى الكتاب المقدس، ص97-98.

وما يكون لها من الوقع المؤلم والأثر فى سير الأحداث بعدها فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

"قال جبريل: قال الله تعالى: إنى قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإنى قاتل بدم الحسين بن على عليهما السلام سبعين ألفاً"((1)).

وأنه عدا تلك النبوءات التى توافر عليها الذكر النبوى لواقعة الطف فقد شهدت هذه الواقعة حضور الموقف الرسالى فيها مجسداً بما كان من مواقف أهل الإيمان فى سائر الأديان، ومن ذلك ما كان من التحاق (وهب بن عبد الله الكلبى) الرجل المسيحى بركب الشهادة فى موقعة الطف ما مر ذكره.

وبعد مقتل الإمام الحسين، وإذ رفعت رؤوس أعلام الشهادة فى واقعة الطف على الرماح يتقدمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام، كان المشهد الآخر للموقف الرسالى، ما كان من ذلك الراهب فى صومعته، فإنه وقد نصب رأس الإمام الحسين عليه السلام على رمح إلى جنب صومعته، فإنه وفى أثناء الليل - كما ذكر - سمع تسبيحاً وتهليلاً ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهر، وسمع قائلاً يقول: "السلام عليك يا أبا عبد الله.." فتعجب حيث لم يعرف الحال، وعند الصباح استخبر من القوم فقالوا له إنه رأس الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام وأمه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لهم: تباً

1- () الصواعق المحرقة، ص200.

لكم أيها الجماعة، صدقت الأخبار فى قولها إذا قتل تمطر السماء دماً، وأراد منهم أن يقبل الرأس فلم يجيبوه إلا بعد أن دفع إليهم دراهم، ثم أظهر الشهادتين وأسلم ببركة المذبوح دون الدعوة الإلهية((1))، و هذا هو عنوان إسلام المؤمنين كلهم بالله، ورسله، وكتبه، ومواثيقه، ومنها ميثاق الشهادة.

وفى مجلس الطاغية يزيد مَثُلَ رأس الشهيد الإمام الحسين عليه السلام، كمثل ما مَثُلَ رأس الشهيد النبى يحيى بن زكريا عند الطاغية، وفى ذات الموقع من مشهد الشهادة ذكر أنه كانت لرسول قيصر - الرجل المسيحى المنصف - وهو حاضر آنذاك، وقفته المستنكرة لذلك المشهد الفظيع والخارج عن قيم الأديان، مما بدر من يزيد فى ضربه بعصاه للرأس الشريف، فإن هذا الرجل قد ذكر لهم مشهدا من مشاهد التقدير عند أهل دينه لكل ما يؤول إلى النبوة ويمت إليها بصلة:

"إن عندنا فى بعض الجزائر حافر حمار عيسى ونحن نحج إليه فى كل عام من الأقطار ونهدى إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطل"(23).

..ويظل هكذا النفس المسيحى فى الشهادة توأم النفس الإسلامى فيها، إن معاناة السيد المسيح ومكابدته مع الطغاة هى نفسها معاناة

1- () موسوعة مقتل الإمام الحسين (نهضة الحسين)، ص465-466.

ومكابدة الإمام الحسين، وشهادته هى كمثل شهادته، وقد ارتقى القديسان المبجّلان كلاهما على خشبة الشهادة ورؤوسهما تعلو إلى السماء منتصبة على سوارى المجد والخلود، وما زلنا كل عام نستمع إلى الأقباط المسيحيين فى بلدنا وهم يعبرون فى ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عن صدق مشاعرهم وولائهم لمشهد الشهادة، وهو عنوان الولاء للشهداء الرساليين فى كل دين، وقد كانت الإشارة فى الذكر القرآنى لمودة المسيحيين (النصارى) لإخوانهم من مؤمنى الإسلام، ما يكون من صدق إيمان القسيسين والرهبان ومعرفتهم للحق فى كل رسالة من رسالات الله:

"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ" (المائدة: 81-84).

وكمثل ذلك ما نرى من موقف الصابئة وهم يجدون فى شهادة الإمام الحسين عليه السلام حضور الشهادة لنبيهم الشهيد يحيى بن زكريا

عليه السلام، وأنهم فى موطنهم فى جنوب العراق ووسطه قد عاشوا جنباً إلى جنب مع الموالين لأهل بيت النبوة، واندمجوا معهم حتى فى أسمائهم، وقد تغنى الشاعر الصابئى المعروف عبد الرزاق عبد الواحد بملحمة الإمام الحسين عليه السلام فى قصيدة رائعة تعبر عن كامل المعرفة والتقدير لمشهد الشهادة الحسينية فى الطف:

فمذ كنت طفلا رأيت الحسين

مناراً إلى ضوئه أهتدى

ومذ كنت طفلاً وجدت الحسين

ملاذاً بأنواره أحتمى

سلام عليک فأنت السلام

وإن كنت مختضباً بالدم

وإنک معتصم الخائفين

يا من من الذبح لم يعصم

شواخص الشهادة بين مقامى النبى يحيى والإمام الحسين عليهما السلام

اشارة

عظة التاريخ، وموعظة الدين

وفى الرقعة المحدودة والمتصلة من الأرض التى شهدت ولادة وانبعاث الرسالات الدينية السماوية ومعها انبعاث الحضارات الأولى للإنسان - تمثل المشهد الروحى الإنسانى وتضحياته، ومعها ولادة الضمير الروحى الذى استقر شاخصاً فى مشاهد حية وعلى امتداد الأرض من بلدان الشام، وما جاورها من أرض الرافدين وحاذاها من أرض مصر، وما امتد إليها إلى أرض الجزيرة العربية، روافد متصلة للمجد الحضارى والروحى ارتسمت فيها صورة الخلود للمواقف الروحية والإنسانية المثلى، وقد انتصبت فوق مرتقياتها وسهولها مقامات المجد الروحى، فعلى المرتقى من أرض سوريا يشمخ مقام "قابيل" ولد آدم الذى سجل مأثرة الوداعة والحلم مقابل بغى وعدوان أخيه هابيل، فكان له نصيب من الذكر فى مزار معتبر يؤمه الناس على مدى السنين الطويلة من حادثة النزاع بينهما، نزاع بين الخير والشر، وعلى مدى آخر من تفاوت الزمن انتصب مشهد الرحلة الطويلة لأبى الأنبياء الموحدين إبراهيم الخليل فى أكثر من موقع من بلاد الشام، وبلاد الرافدين، وأرض

مصـر، وارتقت فى أرض الجزيرة العربية مأثرته الروحية فى مشـهد بيت الله الحرام وكعبته المشـرفة فى مكة المكرمة، وارتقت مشاهد النبوة وأولياء النبوة شواخص للذكر، وعلى مرتقيات الأرض وسـهولها فانتصـبت المساجد والكنائس والمعابد إلى جانب مقامات الأنبياء والأولياء تتعـانق بهـا ألويـة الإيمان بين الرسالات الدينيـة، ويكون الوفود على مقامات الشـهادة منها وفوداً أكثر حرارة يحمل فيه المؤمنون - كما هو الحال فى المقامين المتقابلين فى الجامع الأموى بـدمشق لمرقد النبى يحيى بن زكريا ومقام رأس الإمام الحسـين (عليهما السـلام) مشاعر مشتركـة من المهابـة والتقـديس هى علامـة دالة لمشتركات الإمان الذى يجمع ما بين الأديان ورموزها من الشـهداء والمجاهدين من أجل شرائعها، وحيث ظلت الشريعة ومعها الشهادة هى الأكثر إضاءة فى تاريخ الإيمان الدينى، وفى ذلک صح قول "أشعيا":

"اسألوا الشريعة والشهادة، من لم ينطق بهذا الكلام فلا يضىء له الصبح" (أشعيا 8: 21).

ويجـد القاصد لدمشق ما بين شـمالها وجنوبها شواخص تلک الشـهادة التى امتدت ذكراها على طوال الأزمان، لتقام تلک المنائر والقباب المهيبـة، كمثل ما يكون فى ريف دمشق من المقام المهيب لمرقـد السـيدة زينب عليها السـلام أخت الإمام الحسـين عليه السـلام، والتى حضرت

مسـرح الشـهادة فى واقعة الطف بكربلاء وتجرعت محنها وآلامها، وسارت فى موكب الشهادة مع الرؤوس المنتصبة على الرماح فى رحلة طويلـة وشاقـة ما بين كربلاء فى العراق إلى دمشق فى بلاد الشام، وتجرعت محنـة الإقامـة فى الخربة إلى جوار قصـر الحاكم الجائر، والتى تحولت بعدئذ إلى مقام مهيب لطفلة الإمام الحسـين عليه السـلام "رقية" والتى فارقت الحياة فيها وهى تعانق رأس والدها، وقد كان للسـيدة زينب عليها السـلام ذلک الموقف الجرىء أمام الحاكم الجائر وخطبتها المثيرة فى مجلسه.. وقد اندرست قصور أولئک الحكام الطغاة ولم يبق لهم من الـذكر ما يسـتحق بإزاء ذلک الـذكر والمقام المشـهود لآل بيت النبوة ولأولياء النبوة فى معاقل أولئک الحكام، وفيما انتصـبت وعلى مسافـة من الأـرض مـا بين جنبـات دمشق منـارات وقبـاب شامخـة تزدان على مـدار الأيام والسـنين بعـدد لا يحصـى من الزائرين، والمتبركين بهم، والمسـتذكرين للمواقف الجهادية لسـليلتى النبوة، وكمثل ذلک ما يكون من المشـهد المعتبر لمقام النبى الشهيد يحيى بن زكريا والذى يقابل مقام الرأس للشـهيد الإمام الحسـين، والناس على مدار الأيام والسـنين تقصدهم للزيارة والتبرک بهم، مقامات مهيبة لها فى نفوس الملايين من الناس على مـدى الأحقاب كل هذا الاعتبار والتقديس، هو ذلک الاعتبار والتقديس لشـهادة الأنبياء والأولياء، والتى كانت العلامـة التى رسـمت على وجه الأرض، وفى نفوس البشـر دلالـة الثبات على المنهج الرسالى القويم، والتضـحية من أجل أن تظل كلمة الله

هى العليا، وإرادته هى الغالبة، وذكره الذى أبلغه برسالاته هو المحفوظ:

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9).

ويوثق شاعر العربية محمد مهدى الجواهرى فى قصيدته عن الإمام الحسين عليه السلام لما آمن به أحرار النفوس المدركون بعقولهم مآثر الشهادة وصروحها سر الخلود الرسالى للشهادة، خلود الحقيقة فى خلود الشهادة فى مأثراتها وصروحها الخالدة:

وحار بى الشك فيما مع الـ الى ان أقمت عليه الدلى فنوّرت ما أظلمّ من فكرتى وآمنت ايمان من لا يرى بأن الإباء ووحى السماء

جدود الى الشك فيما معى ل وأعطاك إذعانه المهطع وقوّمت ما اعوجّ من اضلعى سوى العقل فى الشك من مرجع وفيض النبوة من منبع

تنزّه عن "عرض" المطمع

النبى أيوب والإمام الحسين عليهما السلام بين الخبر المفجع وواقعة الفجيعة

وبينما يشـهد التاريخ الإنسانى عامةً، والتاريخ الرسالى منه خاصةً حالات من العزم والعزيمة، والصبر على المكاره والأعباء، ما كان للأنبياء والأولياء منه الحصـة وعلى القـدر المتفاوت ما جئنا على ذكر شواهد منه فى مبحثنا عن رموز الشـهادة والفداء فى الأديان – فإن فى مشـهد الصبر على الفجيعة ما كان للنبى أيوب والإمام الحسين – عليهما السلام– يشكل جانباً مما يصح التمثل والاعتداد به، مع الفارق بين عوامل وآثار الفجيعة لكليهما.

وان المقابلـة الموضوعيـة بين مشـهد المعاناة والمكابدة للنبى أيوب، والإمام الحسـين – عليهما السـلام – فى أبعادها وتبعاتها ترسم صورة للمقارنة الموضوعية بين حالتين متقابلتين فى مجال الصبر، ومتفاوتتين فى الطبيعة والنتائج المترتبة عليهما، كمثل تفاوتهما فى مشهد الذكر والاحتفاء بهما على مر الأحقاب.

فبالنسبة للنبى أيوب – عليه السلام– يروى (سفر أيوب) من العهد القديم فى الكتاب المقدس عنه: انه كان رجلاً مستقيماً يتقى الله ويجانب الشـر، وولد له سبعة بنين وثلاث بنات، وكانت قنيته سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف من الإبل وخمس مئة فدان بقر وخمس مئة أتان، وله عبيد كثيرون جدا، وكان بنوه يذهبون فيصـنعون مأدبة فى بيت كل منهم ويبعثون فيدعون أخواتهم الثلاث ليأكلن ويشربن معهم، فإذا ما تم مـدار أيام المأدبة كان أيوب يبعث فيقدسـهم ثم يبكر فى الغداة فيصـعد محرقات((1)) على عـدد جميعهم لاـن أيوب كان يقول لعل بنىَّ خطئوا وجدفوا على الله فى قلوبهم، وهكذا كان يصنع كل الأيام (أيوب1: 1–6).

وأراد الرب ان يختبر تقوى أيوب بعـد أن أملى الشـيطان بـاله لأـيوب فكـانت له من فتنته فى البلاـء: انه اتفق يومـا ان بنيه وبناته كانوا يأكلون ويشـربون خمراً فى بيت أخيهم الأـكبر فأقبـل رسول إلى أيوب وقـال له: كانت البقر والأتن ترعى فى جانبها فوقع عليها أهل سـبأ وأخـذوها وقتلوا الغلمـان بحـد السـيف وأفلّتُّ أنـا لأـخبرك، وفيما هو يتكلم أقبل آخر وقال قـد سـقطت نار الله فى السـماء وأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم..، وفيما هو يتكلم أقبل آخر وقال قد افترق الكلدانيون ثلاث

1– () المحرقة: جمع محرقات، وهى الذبيحة التى تحرق وتفنى تعبداً لله واعترافا بمطلق سلطته. (المورد: ص128).

فرق وهجموا على الإبل فأخذوها وقتلوا الغلمان بحد السيف..، وفيما هو يتكلم أقبل آخر وقال: كان بنوك وبناتك يأكلون ويشربون خمراً فى بيت أخيهم الأكبر، فإذا بريح شديدة قد طلعت من عرض الصحراء وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الغلمان فماتوا وأقبلت أنا وحدى لأخبرك، فقام أيوب وشق رداءه وحز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد وقال: عرياناً خرجت من جوف أمى وعريانا إلى هناك، الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الله مباركاً..، وفى هذا كله لم يخطأ أيوب ولم يقل فى الله جهلاً" (أيوب 1: 1-23).

ومرة أخرى أقبل الشيطان لأيوب وقد أصبح جلداً بجلد..، وليصبهُ بقرح خبيث من باطن قدمه إلى قمته، فأخذ له خرقة ليحتك بها وهو جالس على الرماد، فقالت له امرأته: "أإلى الآن أنت معتصم بسلامتك جدّف على الله ومت"، فقال لها: إنما كلامك كلام إحدى السفيهات، أنقبل الخير من الله ولا نقبل منه الشر" وفى هذا كله لم يخطأ أيوب بشفتيه (2:1 -12).

.. وتستبد بعدئذ بأيوب الظلمات وظلال الموت وليقر عليه غمام، ولتروعه كواسف النهار، وليشمله فى الليل الديجور (4: 3-4)، وذات يوم سمع ثلاثة من أخلاّنه ما أصابه من البلوى فأقبل كلاً من مكانه ليرقوا له ويعزوه، فرفعوا أبصارهم من بعيد فلم يعرفوه، فرفعوا

أصواتهم وبكوا وشق كل واحد منهم رداءه وذروا تراباً فى ارؤوسهم نحو السماء، وجلسوا معه إلى الأرض سبعة أيام وسبع ليالٍ ولم يكلمه أحد بكلمة؛ لأنهم رأوا ان كآبته كانت شديدة جداً" (2: 12-13).

وكانت العاقبة بالحسنى لأيوب بعدئذ فقد رد من جلائه حين صلى لأجل أخلاّئه وزاده الله ضعف ما كان له قبلاً، وزاره جميع أخوته وأخواته وكلُ من كان يعرفه من قبل وأكلوا معه خبزاً فى بيته، ورثوا له وعزوه عن كل البلوى.. وأهدى له كل واحد منهم نعجة وخرصاً من ذهب، وبارک الرب آخرة أيوب، فأكثر من أولاده، وكان له من الغنم أربعة عشر ألفاً، ومن الإبل ستة آلاف وألف فدان من البقر وألف من الأتان.. وعاش بعد هذا مئة وأربعين سنة، ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال، ثم مات شيخا قد شبع من الأيام" (أيوب 42: 11-16).

وهكذا كانت معاناة أيوب اختباراً لصبره على البلوى بما وردته من أخبارها وقد تقبلها بالرضا والاطمئنان، والثقة بالله لتسجل له مأثرة الصبر اعتبارا وعبرة للناس فى كل زمان، وفيما كانت له حصة وافرة من الجزاء المعجل فى دنياه، فيما ان الإمام الحسين - عليه السلام- لم ينبأ بواقعات البلاء بل استقبلها مفردات مريرة وشاقة فى وقائع مأساوية تمثلت فى واقع الطف فصولاً متتابعة من العناء والمكابدة المصحوبة بنزيف الدم، وقد قصد ساحة المواجهة بكل مخاطرها لتكون له ولأسرته

ولخاصة صحابته منها تلک الحصة البالغة من التنکیل والبطش والذی تلاحقت فصوله الدموية فی واقعة الطف وما بعدها، وفیما لم یشهد التاریخ مثل تلک الحالة النادرة فی وفود الحسین - علیه السلام- علی ساحة الهلاک المحقق مع أهله، وقد واتته فرصة الخلاص لیستکین الی دعة الحیاة ونعیمها لو راودته نفسه الرضوخ لمطالب الحیاة الدنیا، ولو کان الحسین - علیه السلام- قد فعل ذلک لحکم علی نفسه بغیر هذا الحکم الذی ارتضاه له التاریخ ان یسجل اسمه وذکریات الواقعة التی انتصب بشموخ فیها، ولا ان یکون له مثل هذا المشهد الأثیر من الذکر والاحتفاء بدوره البطولی فی الطف، وفیما لم یکن له من حیاته التالیة علی الأرض جزاؤه المعجل کما کان للنبی أیوب - علیه السلام- فی خاتمة حیاته مما ورد ذکره، ولم یصح ذلک فی أهل بیت النبوة من سلالة الإمام الحسین -علیهم السلام- والذین لقوا من بعده حصة مؤجلة من الکید والتنکیل حتی انه لم یسلم أحد من ذریته من الکید والملاحقة، ثم القتل أو دسّ السم له، وعوضاً عن تلک المحنة الجاریة فی حیاتهم فإنهم کوفئوا بالقدر الکبیر من شخوص الذکری، والاحتفاء المتجدد بسیرتهم ومواقفهم، وحیث تقام احتفالیة الشهادة لواقعة الطف فی موقعها، کمثل ما یقام ذلک لکل الشهداء من آل بیت النبوة، حصة مؤجلة ودائمة من التکریم لمشهد الشهادة، ولمأثرة الصبر فی ساحتها، وبکل مظاهر الاحتفاء ومعالمه، حالة ارتقی فیها مشهد الذکر للإمام الحسین علیه السلام وسلالته فی

معالم وصور لم يبلغها مشهد من الذكر الا فى الاستشهاد، عظة واعتباراً بالشهادة وبالصبر معاً، وفيما لم تقم لمشهد الصبر لأيوب ومحنته فيها مثل هذه الاحتفالية المتكررة فى كل عام لشهادة الإمام الحسين - عليه السلام - ومثل هذا التكريم والاحتفاء بمقامه هى من بعض مشاهد الذكر لتضحيات الأنبياء، وموارد الذكر لشهادة الأولياء.. وهى فى كلها العنوان لما فى الشهادة من مكانة لا تدانيها مكانة فى الوجود، شهادة من تعمد بالدم، أو تعمد بالولاء لله تعالى، والتضحية من اجل الله الذى ارتبط بمجده وخلوده مجد وخلود من آثر الصلة والتواصل بالله.

السيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام الرؤوس المنتصبة على سوارى الشهادة وقضية الخلاص

لم تنتصب رؤوس على سوار الشهادة وبمثل معاناة ومكابدة شخوصها كمثل ما انتصب الرأسان الشريفان للسيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام. كما لم يمتثل رجال لقدرهما بالرضا والاطمئنان وبمثل تلك الأنفة والاعتداد بالنفس كمثلهما، وقد كانت سيرتهما فى الشهادة هى المثال الأرقى فى سفر الشهادة فى التاريخ الرسالى، ويورد العهد الجديد من الكتاب المقدس عن مأساة الشهادة للسيد المسيح: ان جنود الحاكم اخذوا يسوع الى مقره، وجمعوا الكتيبة كلها، فنزعوا عنه ثيابه وألبسوه ثوبا قرمزيا وضفروا له إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه، ووضعوا فى يمينه قصبة، ثم ركعوا أمامه واستهزؤوا به فقالوا: "السلام عليک يا ملک اليهود"!، وأمسكوا القصبة وأخذوا يضربونه بها على رأسه وهم يبصقون عليه، وبعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الثوب القرمزى، وألبسوه ثيابه، وساقوه ليصلب، وبينما هم خارجون من المدينة صادفوا رجلا من قيرين اسمه سمعان، فسخروه ليحمل صليب يسوع. ولما وصلوا إلى المكان ال0ذى يقال له الجلجلة- أى موضع

الجمجمة- أعطوه خمرا ممزوجة بالمر، فلما ذاقها رفض ان يشربها، فصلبوه واقترعوا على ثيابه واقتسموها، وجلسوا هناك يحرسونه، ووضعوا فوق رأسه لافتة مكتوب عليها سبب الحكم عليه: "هذا يسوع ملك اليهود"، وصلبوا معه لصين، واحد عن يمينه وواحد عن شماله وكان المارة يهزون رؤوسهم ويشتمونه ويقولون: "يا هادم الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام، ان كنت ابن الله، فخلص نفسك وانزل عن الصليب"!، وكان رؤساء الكهنة ومعلمو الشريعة والشيوخ يستهزئون به ويقولون: "خلّص غيره، ولا يقدر ان يخلص نفسه، هو ملك إسرائيل، فلينزل الآن عن الصليب لتؤمن به، توكل على الله"!.. وعيره اللصان المصلوبان معه أيضاً، فقالا مثل هذا الكلام..." (متى 27: 27- 44).

وكل ذنب السيد المسيح، والذى استحق عليه كل ذلك العنت والكيد انه كان قد قاوم التمسك الأعمى للمتزمتين فى الوسط اليهودى من الفريسيين ومعلمى الشريعة وشيوخ المدينة بتقاليد لا تمت إلى الشريعة بصلة، وسلوكهم النفعى فى ذلك وقد تواصل تعنيفه لهم فى ذلك منذرا إياهم بالويل:

"وانتم تهملون وصية الله وتمسكون بتقاليد الشريعة..."

"وما أبرعكم فى نقض شريعة الله لتحافظوا على تقاليدكم" (مرقس 7: 8-4).

"الويل لكم يا معلمى الشريعة والفريسين المراءون، تأكلون بيوت الأرامل وانتم تظهرون أنكم تطيلون الصلاة..".

"الويل لكم تعطون العشر من النعنع والصعتر والكمون، ولكنكم تهملون أهم ما فى الشريعة، العدل والرحمة والصدق...".

"الويل.... والويل لكم..." (متى 23: 1- 63).

وكمثل ذلك كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام على الخارجين على منهج الشريعة والمتسلطين على رقاب الناس باسمها، ويذكر المؤرخ ابن خلدون- الذى عرف عنه تحرجه من الطعن بأى حاكم من حكّام المسلمين- عن يزيد بن معاوية، والذى امتنع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعته- انه: "قد ظهر الفسق أيام خلافته واختلف الصحابة حينئذ بشأنه، فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين - عليه السلام - وعبد الله بن الزبير ومن اتبعهما فى ذلك ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به، ولأن شوكة يزيد يومئذ هى عصابة بنى أمية وجمهور أهل الحل والعقد من قريش، وتستتبع عصبة مضر أجمع"((1)).

وهكذا فإن الإمام الحسين عليه السلام قد آثر المرتقى الصعب فى

1- () المقدمة، ص207.

مبدأ أسـمى فى الوقوف ضد الجور والاستبداد والانحراف عن منهج الشريعة، وفى مواجهة عسيرة وشاقة وغير متكافئة، وقد أضيف إلى مشهد الفجيعة فى الطف ما لم يكن من مثل مشـهدها فى فجيعة السـيد المسيح عليه السلام، ان الإمام الحسين عليه السلام قد شهد مقتل أولاده واخوته، ونفر من بنى عمومته وخاصـة صـحابته، ووقف بنفسه على مشـهد الترويع لهم بإلجائهم إلى العطش وحصارهم فى زاوية الهلاك، واستتبع ذلک ما كان من التنكيل بجثث القتلى، وسبى النساء، وترويع الأطفال وتشريدهم وملاحقة من بقى منهم والسعى إلى قتلهم واحدا بعد الآخر، وحمل رؤوس القتلى على الرماح يتقدمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام.

وان مشاهـد التنكيل والترويع للنساء والأطفال، والفتک بالرجال وفى أفظع المشاهـد وأكثرها قسوة ودمويـة فى التاريخ الإنسانى ما جرى فى واقعة الطف الأليمة، والذى تفصلت فى مشاهدها كتب السير وبالأخص منها ما ذكره المؤرخ أبو مخنف وغيره، من أصناف التنكيل وفظاعة الترويع ما يندى له جبين الإنسانية وما تأباه الشـرائع السماوية والإنسانية، وبخاصة منها ما كان من مشاهد التمثيل بالقتلى، وقد ذكر الحديث النبوى حرمته بالنسـبة للإنسـان والحيوان بأنه "لا تجوز المثلـة ولو بالكلب العقور"... وانه إذا ما قـدّر العرض الكامل لتفاصـيل الإجرام مما جرى فى الطف فانها ستعد من بين أفظع وأشنع مشاهد الترويع فى

التاريخ الإنسانى، وانها تعيد الذاكرة لكل مشاهد الترويع والتنكيل بالأنبياء والأولياء فى التاريخ الرسالى كله، ومنها بالأخص ما جرى للسيد المسيح عليه السلام وخاصة تلاميذه، وللنبى يحيى بن زكريا عليه السلام، وقد حمل رأسه الشريف إلى قاتله من الطغاة بمثل ما حمل رأس الإمام الحسين عليه السلام، وقد تمادى الطاغية فى إجرامه بنكث رأس الإمام الحسين عليه السلام بقضيبه وبحضور من بقى من أسرته الشريفة، والاستهانة بقدر ومكانة الأسرة النبوية بذكر اسمها رياء فى أذان الصلاة والتى هى كمثل صلاة المرائين الذين جاء السيد المسيح عليه السلام على ذكرهم فى تقريعه للكهنة وشيوخ المدينة، وقد التقى الإمام الحسين عليه السلام فى انتصاب رأسه الشريف مع السيد المسيح عليه السلام على سارية من سوارى المجد الرسالى.

ويقينا فإنه وبأى الطبيعة والصورة التى كانت عليها الفجائع فى التاريخ الرسالى، فإنها على الخط الواحد الذى تنتهى إليه وعنده الغاية الرسالية، وان الانباء المسيحى فى الخلاص حين تجىء النهاية وتعلن "بشارة الله فى العالم"، هى ذاتها التى اقرها الأنباء الإسلامى عن اللقاء المرتقب لوثبة الشهادة فى التقاء اللواءين المسيحى والإسلامى فى القدس، مجسدة بشخص السيد المسيح عليه السلام، وحفيد الإمام الحسين، الإمام المهدى عليهما السلام، وهما يتوليان مهمة إنقاذ العالم من الشرور التى توالت على مر الأحقاب، التى نال منها الأنبياء والأولياء والمؤمنون

معهم حصصا متفاوتة القدر من الكيد والتنكيل والبطش، وليسطع النجم الرسالى من جديد، وبكل عنفوانه ليرسم صورة الخلاص من محنة الشر فى العالم، وانه عندما تجىء النهاية يؤول الأمر إلى توحد لواءى الإيمان السابق واللاحق مجسداً بشخص السيد المسيح وحفيد الإمام الحسين عليهم السلام ليحملا معا مهمة الخلاص الكبرى التى تشهد بوقائعها الأديان.

وفى تقدير السيد محمد الصدر فإن المنقذ العالمى الواحد، الذى سماه الإسلام بالمهدى وسماه السابقون اليهود والنصارى بالمسيح، وسماه آخرون بأسماء أخرى، ومعه يتعين ان يكون المسيح والمهدى لفظين أو صفتين لشخص واحد، هو المنقذ العالمى الواحد الموعود((1))، وان القيمة الاعتبارية لهذا الانجاز فى نهاية الشوط الرسالى ان تحقيق ذلک سيتم عن طريق الذوات الرسالية الأكثر قدرة على فهم وجوه المعاناة من المظالم كونها قد ورثت عناء الظلم وتجرعت مرارته، وانها قد اختيرت لمثل ذلک الدور الذى امتثلت له فى حضور شاخص فى حياة سابقة، لتمتثل له فى دورة جديدة تتعالى فيها على المعاناة والكيد وتنتصر عليه بإرادة عالية مستمدة بقوة من السماء.

1- () تاريخ ما بعد الظهور، ص595.

مأثرة الحسين عليه السلام فى الشهادة

اشارة

المواساة والموالاة الخالدة

والمواساة كمثل ما هى الموالاة حالـة من التعاطف والنصـرة مرهونة بظرفها وحالتها فى سـلوك البشـر فى كل جيل، وعلى وفق الاعتبارات السائـدة، وتكون الموالاة هى الأخص فى وحدة التعاطف المنحكمة إلى موقف مبدئى تندرج فيه الحالتان من وجوه التعاطف والنصـرة معاً ليشـكل ذلـک عنوانـاً من عنـاوين الاعتقاد، ويلاحظ تماماً أن الولاء الـدينى، كمثل ما هى النصـرة فيه تتفوق على ما سواها فى ذلک، وهى الأـكثر شأنـاً وقـد كـان تطورها ورسوخها تجسـيداً للبعـد المعتقـدى فى الأديان، وقـد سـرى مفعوله على المـدى الطويل فى حياة الأفراد والشعوب، وكان للأنبياء والأولياء حصة من ذلک، وفى حياة الشعوب نجد الشاهد التاريخى لذلک فى حيوية الدور والمكانة المعتبرة لتلک الشخوص المؤثرة فى مجرى حياتها، وحالة الإمام الحسين عليه السلام فى المواساة والموالاة هى من بين تلک المشاهد الأثيرة لذلک اللون التاريخى المتجدد من المواساة والموالاة معاً، والتى يحمل تاريخ الأديان ألواناً منها،

كانت ولا تزال تقوم على وفق طقوس ومراسيم تؤدى بالطرق والوسائل التى يعهدها كل شعب بحسب موروثه المعتقدى، ومن بعض تلك المشاهد فى التعبير عن المواساة والموالاة ما يكون فى الذكرى المتجددة لواقعة الطف على هذا النحو الذى تتعدد مظاهره فى مختلف البلدان التى يقيم فيها المتأسون والموالون للامام الحسين عليه السلام معالم الاستذكار لها بوسائل متعددة، هى عنوان ذلك الامتداد العاطفى فى حالة من الرشد، أو فى حالة من الغلواء، ما يوفى به المواسون والموالون، العارفون بتفاصيل واقعة الطف، والمستوعبون لدروسها، أو المنغمرون بعواطفهم فى ذلك وعلى وفق وسائلهم فى التعبير عن ذلك، متأسين بما كان من بشاعة وفظاعة ما جرى لآل بيت النبوة فى واقعة الطف من القتل المروّع، والتمثيل بجثث الشهداء فيها وحمل رؤوسهم على الرماح ولمسافات طويلة، وما لحق بالسبايا من النساء والأطفال خلال ذلك من العسف والعنت، وما مر بعدئذ من المشاهد الانتقامية الفظة الأخرى التى جرت لآل بيت النبوة على مر السنين التى أعقبت واقعة الطف، والتى حركت بواعث الحزن والأسى فى نفوس مواليهم، وقد تنوعت مظاهرها وأشكالها ما بين إقامة مجالس الأحزان، واحتفاليات الاستذكار لواقعة الطف، والتهافت على مراقد الأولياء الشهداء من آل بيت النبوة ومناصريهم، وجاهلٌ بحقائق السيرة الدينية للشعوب من ينكر على الناس مثل هذه المشاهد وطقوس التعبير عن

المواساة والموالاة لرموز الأديان والمضحين من أجلها، فقد شاهدت فى أثناء زيارتى لبعض المعابد فى الهند ذلک الإقبال على أضرحة الأولياء ومظاهر التقديس لهم، مع الاعتداد بسجل الأحداث المرتبطة بحياتهم والاحتفاء بها، وكمثل ذلک ما شاهدته فى زيارتى لبعض المعابد فى اليابان، وقد رأيت خيوط الأقمشة بألوانها المتعددة معقودة على جانب من ساحة النصب التذكارى للقنبلة الذرية التى ألقيت على مدينة هيروشيما، كما شاهدت النذور، وماء التبرک فى أفنية الكنائس والمزارات المسيحية، وفى كل ذلک ما يقيم الدليل على أن مشهد التعبير عن المواساة والموالاة للأولياء هى على الحالة الواحدة من المكانة فى النفوس معبراً عنها بشتى الصيغ والأساليب، وهى تمتد لتشمل كل نفس من كل دين وهى تتعاطف مع الفجيعة، وهو هذا الذى دفع بالبعض من المسيحيين للمشاركة فى مواكب العزاء الحسينى وانه لعزائهم بفجيعة السيد المسيح (عليه السلام)، ومشاركة الصابئة فى المواكب الحسينية، وانهم ليستذكرون فى ذلک فاجعة النبى يحيى بن زكريا (عليه السلام)، وينصب نفر من الصينيين العاملين فى احدى شركات التسويق فى مدينة الناصرية موكباً لاستقبال زوار كربلاء المارين عبرها ولأيام، ثم لينتقلوا منها الى مدينة كربلاء وحتى أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، ويذكر "ليون" الرجل البوذى منهم: ان قضية الإمام الحسين عليه السلام هى قضية عالمية تخص كل الإنسانية، وهو هذا العائد الرسالى الكبير لثورة الحسين

(عليه السلام)، فى توالى، وتواتر، وشيوع استذكارها وعلى هذا النحو المتجدد، والمتفاوت المشاهد، وهو هكذا يجسد الغاية من استذكار الأحداث المأساوية فى التاريخ الإنسانى.

وقد ظلت الحالة الحسينية فى المواساة والموالاة تكتسب خصوصيتها فى طبيعة المشهد وتكرره، وتنوع مظاهره، ففى المشهد الواحد من مواكب الذكرى لمأساة الإمام الحسين عليه السلام تجد ألواناً من التعبير تمتزج فيها العاطفة المرهفة المعبر عنها بالدموع، مع جلسات الاستذكار لما جرى فى واقعة الطف تتخللها جوانب من الوعظ والإرشاد مع أناشيد الحزن ترافقها الدموع، ويمضى الشوط هكذا فى مسيرات تتنوع فيها مشاهد التعاطف مع الأحداث المروعة فى ألطف، متفاوتة بين الضرب الخفيف على الصدور والرؤوس إلى الضرب القوى عليها تأسياً، وتتجاوزها إلى ما هو أبعد من ذلك من حالات الأسى والتى تبلغ ذروتها فى مسيرة الحزن الراجلة لمسافات طويلة تمتد من المدن البعيدة من كربلاء وإليها وهى تحمل معها كل ما يمكن التعبير فيه عن صدق المواساة والموالاة، مع ذلك السخاء فى تقديم المآكل والمشارب لوفود الزائرين وعلى امتداد المسافات البعيدة عن كربلاء وحواليها، وقد وجدنا من الموالين من ينحر الذبائح التى يحرص على تهيئتها خصيصاً لأيام عاشوراء، وثمة من يخصص جزءاً من محصول أرضه لهذه الغاية، وهو يرى أن البركة تحل فى إيرادها وفى المال الذى يبذله بسخاء لمثل هذه

المناسبة، وفيما تتوزع محطات الخدمة للراجلين بين المدن والقصبات البعيدة والقريبة من مدينة كربلاء المقدسة، ويقدم فيها من بين ما يقدم فيها "التمر" مخلوطاً بعصارة السمسم "الراشى"، المادة الغنية بالطاقة والحيوية والتى نوه بها الدكتور صبرى القبانى: أنها هى التى تمنح سكان الصحراء القوة وبعض صفاتهم الأخرى كالرشاقة، والطول، والمناعة ضد الأمراض، وفيما كان فى تاريخ العرب وقصص حياتهم وحروبهم دور كبير للتمر كغذاء رئيس من أغذيتهم وبصورة تفسر كيف أنهم استطاعوا أن يجدوا القوة على أن يفتحوا البلاد والأمصار ويقاتلوا الدول، وليس فى جوف المقاتل العربى سوى بضع تمرات، وذكر ان ابن الحمام السلمى فى غزوة بدر قد انتحى ناحية له ليمضغ بضع تمرات حسب عادة المحاربين يومئذ((1))، وما يدرينا فلعل من المقاتلين العرب فى واقعة الطف من كان له مثل ذلك مما لم ننبأ عنه بخبر يقين.

ومن الشواهد ذات الدلالة فى مشهد المواساة بالصبر والفجيعة ما وجدناه فى ذلك الموكب الذى حمل اسم "موكب النبى أيوب" الذى انتظم خلف لافتته لفيف من المواسين فى أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) وهم من أهل الحى المجاور لمقام النبى أيوب (عليه السلام) والكائن فى منطقة ما بين ناحية القاسم ومدينة الحلة مركز محافظة بابل، فكأن النبى أيوب (عليه السلام) هاهنا يعزى من خلال هؤلاء الإمام

1- () الغذاء لا الدواء، ص: 96-97.

الحسين (عليه السلام) فى فجيعته والتى اشتملت فى مأساته الدورة الكاملة للشهادة فى التاريخ الرسالى.

ومن المشاهد الأثيرة من مشـقات الزحام الشديد، والآلام فى مسيرة الولاء والعزاء ما لـم تكن فيه الآلام الناتجة من عثرات الطريق، وما يكون من الضـرب على الصـدور والرؤوس، وما يصـيب البعض من الكـدمات والجروح فى أثناء ذلك مؤذيـة او مؤلمـة لهم ومثالها فى الجانب الاعتبـارى من ذلـك مـا يكون للمرأة التى لاـ تبالى بمشـهد الألم والـدم النازف منها فى أثناء الولادة ولا يكون لـذلك من أثر سـلبى على صحتها، وتعليل ذلك أن المرأة فى ذلك، وكمثل ما يكون للرجل وهو يتحمل عنف الصـدمات وأهوال المواجهـة لأقـداره معتداً بإرادته فى ذلك ما يفسـر جانباً مما ذكرناه فى موضوعنا عن "الصـحة النفسـية والطب الإدارى" فى أن ثمة ما يكون من المعالجة بالصبر، وأن فى جسم الإنسـان صـيدلية تجهزه فى الحالاـت الطارئـة وبحسب الطلب من مركز القرار فيه بحـاجته إلى المـادة العلاجيـة، وان ثمـة مـا يشـبه مركز الإسعاف الداخلى والذى يتولى إسعاف الأجسام المتحفزة والمتوقدة الإرادة بما يلزمها للصمود فى مواقع المواجهة وعند الأعباء الجسيمة، وهو هكـذا الـذى قـد حصل للأنبياء أولى العزم ولأوليائهم من الشـهداء، أنهم قـد اسـتطاعوا بعزائمهم معززين بموارد الإمداد الروحى فى ذواتهم، ومع ذلك القدر غير المحدود من إسعاف السماء وهى تمدهم بالفيض من القدرات الإضافية التى تقوى عزائمهم

فى ان يمضوا قـدماً فى تبليغ ما كلفوا به وتحمل تبعاته ومع كل ما كلفهم ذلک من الكيد وألوان البطش ما ذكرنا نبذا منه فى موضوعنا "رموز الشـهادة والتضـحية فى الأديان"، ليكون لهم من ذلک شاهـد من الذكر فى الأرض تتعالى معه شواهد الاسـتذكار بالمواساة والموالاة لهم، هى التعبير الحى عن فيوض المشـيئة الإلهية فى إرادتها الغالبة، من أجل أن يظل الذكر الرسالى ومشاهده هذا الذكر وعلاماته فى التضـحية والشـهادة شاخصـة فى الوجود ما شاء الله لها أن تشـخص معبرة فى ذلک عن خلود المشـهد الرسالى فى كل الأزمان عنواناً لخلود الله فى الوجود.

المصادر

* القرآن الكريم..

* الكتاب المقدس - العهدان القديم والجديد.

1. الأعلام، خير الدين الزركلى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992م.

2. الإمام على من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزوينى، دار الكتاب العربى، بغداد، الطبعة الأولى، 2004.

3. أهل البيت فى الكتاب المقدس، كاظم النصيرى الواسطى، دار الأمصار، الطبعة الأولى.

4. البداية والنهاية، ابن كثير، دار الأندلس، الطبعة الثانية، 1980.

5. تاريخ ما بعد الظهور، محمد الصدر، دار المعارف، بيروت، 1992م.

6. سيرة الأئمة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسنى، دار المعارف، بيروت، الطبعة السادسة.

7. السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى.

8. الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمى، مطبعة مصر، 1312هـ.

9. الغذاء لا الدواء، د. صبرى القبانى، دار العلم للملايين، الطبعة (33)، 2008.

10. مختصر صحيح مسلم بشرح النووى، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1955م.

11. المقدمة، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، 2004م.

12. ملحمة قوافل النور، حسين بركة الشامى، دار الإسلام، الطبعة الثانية، 2007م.

13. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة، الرياض، 1996.

14. موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ.

المحتويات

مقدمة اللجنة العلمية. 7

مقدمة الكتاب.... 11

مأثرة الحسين عليه السلام بين الشهداء. 15

المضى إلى الشهادة. 23

المرأة فى معركة الطف مأثرات النصرة والفداء. 35

حضور المشهد الرسالى فى واقعة الطف... 49

شواخص الشهادة بين مقامى النبى يحيى والإمام الحسين عليهما السلام. 57

عظة التاريخ، وموعظة الدين... 59

النبى أيوب والإمام الحسين عليهما السلام بين الخبر المفجع وواقعة الفجيعة. 63

السيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام الرؤوس المنتصبة على سوارى الشهادة وقضية الخلاص 71

مأثرة الحسين عليه السلام فى الشهادة. 79

المواساة والموالاة الخالدة. 81

المصادر 89

ص: 93

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدى الخرسان

السجود على التربة الحسينية

1

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية

2

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو

3

الشيخ على الفتلاوى

النوران ـــــ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــ الطبعة الأولى

4

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى ـــ الطبعة الأولى

5

الشيخ على الفتلاوى

الإمام الحسين عليه السلام فى وجدان الفرد العراقى

6

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

7

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

8

الشيخ وسام البلداوى

ابكِ فإنك على حق

9

الشيخ وسام البلداوى

المجاب بردّ السلام

10

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيدية

11

السيد عبد الله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن

12

الشيخ جميل الربيعى

الزيارة تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

13

لبيب السعدى

من هو؟

14

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟

15

الشيخ على الفتلاوى

المرأة فى حياة الإمام الحسين عليه السلام

16

ص: 94

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

17

السيد محمدحسين الطباطبائى

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)

18

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الصغرى

19

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الكبرى

20

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ثلاثة أجزاء

21 __ 23

الشيخ وسام البلداوى

القول الحسن فى عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

24

السيد محمد على الحلو

الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة

25

الشيخ حسن الشمرى

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

26

السيد نبيل الحسنى

حقيقة الأثر الغيبى فى التربة الحسينية

27

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيرة النبوية

28

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء والحوار والمناظرة

29

علاء محمدجواد الأعسم

التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

30

السيد نبيل الحسنى

الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام

31

السيد نبيل الحسنى

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)

32

د. عبدالكاظم الياسرى

الخطاب الحسينى فى معركة الطف ـــــ دراسة لغوية وتحليل

33

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدى

34

الشيخ وسام البلداوى

السفارة فى الغيبة الكبرى

35

السيد نبيل الحسنى

حركة التاريخ وسننه عند على وفاطمة عليهما السلام (دراسة)

36

السيد نبيل الحسنى

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء ـــ بين النظرية العلمية والأثر الغيبى (دراسة) من جزءين

37

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــــ الطبعة الثانية

38

شعبة التحقيق

زهير بن القين

39

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

40

الأستاذ عباس الشيبانى

منهل الظمآن فى أحكام تلاوة القرآن

41

ص: 95

السيد عبد الرضا الشهرستانى

السجود على التربة الحسينية

42

السيد على القصير

حياة حبيب بن مظاهر الأسدى

43

الشيخ على الكورانى العاملى

الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها

44

جمع وتحقيق: باسم الساعدى

السقيفة وفدک، تصنيف: أبى بكر الجوهرى

45

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعة الألوف فى نظم تاريخ الطفوف ___ ثلاثة أجزاء

46

السيد محمد على الحلو

الظاهرة الحسينية

47

السيد عبدالكريم القزوينى

الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام

48

السيد محمدعلى الحلو

الأصول التمهيدية فى المعارف المهدوية

49

كفاح الحداد

نساء الطفوف

50

الشيخ محمد السند

الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد

51

السيد نبيل الحسنى

خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت فى امرأة - 4 مجلد

52

الشيخ على الفتلاوى

السبط الشهيد - البُعد العقائدى والأخلاقى فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

53

السيد عبدالستار الجابرى

تاريخ الشيعة السياسى

54

السيد مصطفى الخاتمى

إذا شئت النجاة فزر حسيناً

55

عبدالسادة محمد حداد

مقالات فى الإمام الحسين عليه السلام

56

الدكتور عدى على الحجّار

الأسس المنهجية فى تفسير النص القرآنى

57

الشيخ وسام البلداوى

فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين

58

حسن المظفر

نصرة المظلوم

59

السيد نبيل الحسنى

موجز السيرة النبوية - طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة

60

الشيخ وسام البلداوى

ابكِ فانک على حق - طبعة ثانية

61

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب ثالث من أسلم - طبعة ثانية، منقحة

62

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيد والعيدية - طبعة ثالثة

63

الشيخ ياسرالصالحى

نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام

64

السيد نبيل الحسنى

تكسير الأصنام - بين تصريح النبى صلى الله عليه و آله و سلم وتعتيم البخارى

65

ص: 96

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء - طبعة ثانية

66

محمد جواد مالک

شيعة العراق وبناء الوطن

67

حسين النصراوى

الملائكة فى التراث الإسلامى

68

السيد عبد الوهاب الأسترآبادى

شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق

69

الشيخ محمد التنكابنى

صلاة الجمعة- تحقيق: الشيخ محمد الباقرى

70

د. على كاظم مصلاوى

الطفيات - المقولة والإجراء النقدى

71

الشيخ محمد حسين اليوسفى

أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام

72

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء - طبعة ثانية

73

السيد نبيل الحسنى

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

74

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، –طبعة ثانية، منقحة

75

السيد نبيل الحسنى

المولود فى بيت الله الحرام: على بن أبى طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟

76

السيد نبيل الحسنى

حقيقة الأثر الغيبى فى التربة الحسينية - طبعة ثانية

77

السيد نبيل الحسنى

ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبى صلى الله عليه وآله وسلم

78

صباح عباس حسن الساعدى

علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹